

هارون هاشم رشيد

وردة

على

جبين

القدس

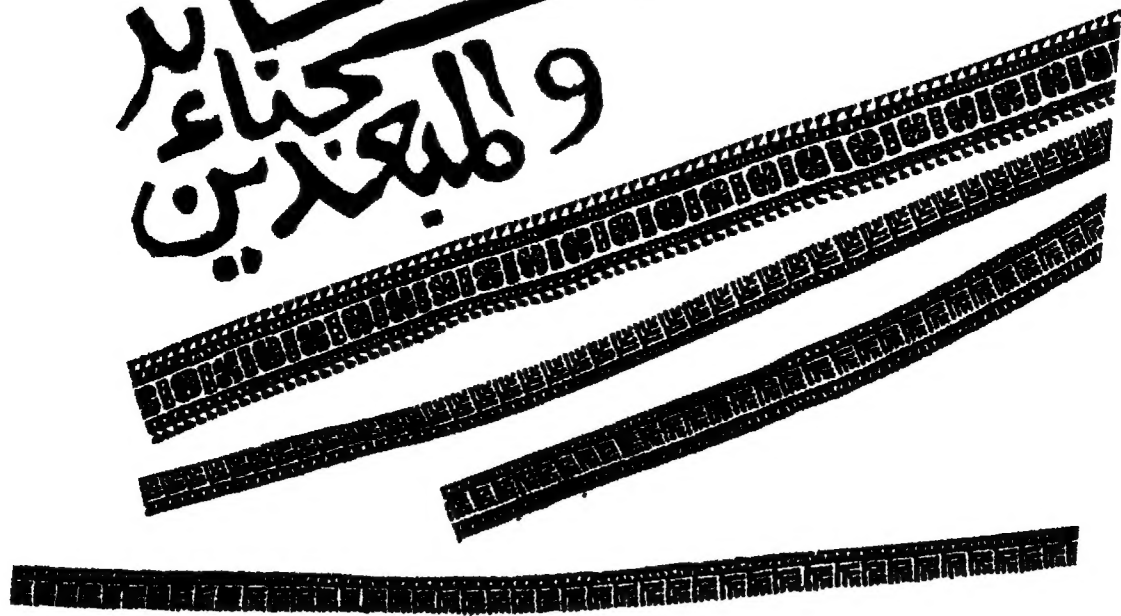
قصائد

للسجناء

والمبعدةين

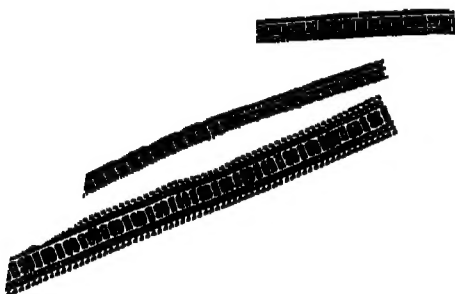
دار الشروق

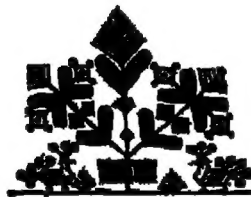
لاقصائد
والمبعدين



طبع هذا الديوان
على نفقة
السيد / عدنان يوسف العلمى
ابن غزوة البار

للقصائد
والمبعدين





دار الشروق

القاهرة : ١٦ حواد حريق - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨

٣٩٢٩٣٣٣ لأكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلکس :

SHOROK UN 93091 بورت : ص.ب . ٨٠٦٤

هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٢ تلکس :

٨٦٧٥٥٥ - تلکس : SHOROK 20175 LE

الطبعة الأولى ١٩٩٨

تصميم ورسم : محمد حجي



شعر ، هارون قاسم و شیخ

إهداء..

إليهم ...

فى ليل الظلم والقهر...

إليهم ...

إلى الأعداء الذين أحبوا الوطن وافتدوه

إلى من أحبوا الحرية

وشقوا الطريق إليها

إلى كل السجناء والأسرى

فى سجون الإحتلال الظالم

بشراهم بالفجر

وبشراهم بالنصر

هارون

صباح الخير للسجناء ..

(اليهم إلى كل الأسرى والسجناء
في ليل السجن الصهيوني)

(١)

صباحُ الخيرِ ..
تَحْمِلُهَا إِلَى الْأَحْبَابِ
أَسْرَابُ الْحَسَّاسِينَ
تَدُورُ بِهَا مَوْلَهَةٌ عَلَى كُلِّ الزَّنَازِينَ
تَحُطُّ عَلَى شَبَابِيكِ مُغَلَّقَةً
وَتُنْشِدُ لِلْمَسَاجِينِ
وَتَحْمِلُ شِلْحَ زَنْبَقَةٍ لَهُمْ
أَوْ غُصْنِ زَيْتُونٍ
مِنَ الْوَطَنِ الَّذِي لَا مِثْلَهُ
أَحْلَى
مِنَ الْوَطَنِ الْفَلَسْطِينِيِّ

(٢)

تَقُولُ لَهُمْ : صَبَّاحُ الْخَيْرِ ..

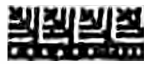
لِلْغُرِّ الْمِيَامِينَ
صَبَّاحُ الْخَيْرِ مِنْ «عكا»
وَمِنْ «يافا»
وَمِنْ رَبَوَاتِ حَظِّينِ
وَمِنْ «غزة»
مِنْ مَسْجِدِهَا الْمَعْمُورِ
مِنْ تَفْحِ الْبَسَاتِينِ

(٣)

صَبَّاحُ الْخَيْرِ مِنْ أَهْلِيكُمْ الْبُسْطَاءِ
مِنْ لَيْلِ الْمَسَاكِينِ
وَمِنْ أَوْجَاعِ مَظْلُومِ
وَمِنْ أَنْاتِ مَحْزُونِ
صَبَّاحُ الْخَيْرِ
مِنْ تَوْقِ النَّوَى الْمَشْبُوبِ
مِنْ نَبْضِ الشَّرَّائِينِ

(٤)

صباحُ الخيرِ
يا أحببنا الأحرار
يا أملَ الملايين
ويا لمعَ السَّناءِ والضُّوءِ
فى ليلِ التَّشارينِ
على ميعادنا نبقى
على العهدِ الفلسطينيِّ . .



القاهرة ١٩٩٧



عيني على السُّجَّاءِ

[مع كل فجر يهزم الظلام .. مع كل صباح
بنشر الأمل .. صباح الخير لهم]

(١)

عيني عليهم، في ظلام القهر، في السُّجن الكبير
عيني عليهم، بين موقف، ومسجون، ومعتقل أسير
عيني عليهم في زنازين العذاب المُرَّ ليل الزمهرير
أغلى الرجال همو، وخيرة نسوة الشعب الجسور

(٢)

أحصي، ومن أحصي ..؟ يتوه العذُّ يغرق في السُّطور
آلاف، ما من سامع صوتاً لهم، ما من مُجِير
ما حالهم ..؟ لا الغوث يُبلغهم، ولا صحو الضمير
فالنَّاسُ مشغولون عنهم في تصارييف الأمور
النَّاسُ مشغولون في زهو المناصب والقصور

شغلتهم الدنيا، عن السجناء عن أغلى النُسورِ
عَمَّن على دربِ الفداءِ مشوا، على صوتِ النِّفيرِ
حملوا الأمانةَ، صادقين، مشوا على لهبِ السَّعيرِ
لا الظُّلمُ أَرهَبهم، ولا حادوا عن الهَدَفِ الكبيرِ

(٣)

عيني عليهم .. خاطري، حُبِّي أحاسيسي شعوري
أهلوهمو في الحُزنِ وحدهمو وفي القلقِ المُثيرِ
تتطاولُ الأيامُ قاسيةً توالى بالسنينِ وبالشُّهورِ
مَنْ قد رآهمْ تحت هطلِ الغيثِ في اليومِ المطيرِ؟
أو مَنْ رآهمْ تحتَ عينِ الشَّمسِ في اليومِ الحَرُّورِ؟
ساعات .. همْ في الانتظارِ لِإِذنِ جَلادٍ غَرُّورِ

(٤)

سُجَّناء نُحْنُ كما همُّو، في القيدِ في ذلِّ المُغيرِ
أنفاسُنا مَخنوقةٌ، والنَّارُ تَغلى في الصُّدُورِ
مَنْ نُحْنُ في دُنْيا التَّخاذُلِ والتراجُعِ والغرورِ؟
مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْلُو لَنَا الرِّاياتُ في كلِّ الثُّغُورِ

مِنْ غَيْرِ تَحْقِيقِ السَّلَامِ الْعَدْلِ تَقْرِيرِ الْمَصِيرِ
مِنْ غَيْرِ أَنْ نَلْقَاهُمْ طَلْقَاءَ مَنْ قَيْدٍ وَنِيرِ
مِنْ غَيْرِ عَوْدَتِهِمْ نَظْلُ كَطَائِرِ الْحُزَنِ الْكَسِيرِ
فَهُمُ الْبَشَارَةُ بِالصَّبَاحِ الْحُرِّ بِالفَجْرِ الْمُنِيرِ
وَلَهُمْ وَلَيْسَ لغيرِهِمْ جُدِلَتْ أَكَالِيلُ الزُّهُورِ



القاهرة : ١٩٩٤



عبد الهادی سلیمان غنیم

وردة على جبين القدس

[عبدالهادي سليمان غنيم ابن معسكر النصيرات في قطاع غزة بطل عملية الحافلة رقم ٤٠٥ على طريق القدس الذي يواجه حكما إسرائيليا بستة عشر مؤبدا]

(١)

«اللهُ أكبرُ» . . فُجِّرَتْ تَتَرَدَّدُ
والقدسُ، شاخِصَةُ المآذِنِ تشهدُ

«اللهُ أكبرُ» . . يومَ أَطْلَقَهَا الفتى
عبرتْ إلى أمِ الشَّهيدِ، تُزْغَرِدُ

قالتْ لَهَا: ثاراتُنا لما تزلُ
نُبْرَاسَ ثورتِنا، يُضِيءُ، ويوقدُ

مَنْ قالَ أَنَا قَدْ نَسِينَا ثَارَنَا
أو أَنَا عَنْ ثَارِنَا نَتَرَدَّدُ

عينُ بعينٍ، لَنْ نُغَيِّرَ نَهْجَنَا
سِنٌّ، بِسِنٍّ، شِرْعَةٌ تَتَجَدَّدُ

(٢)

«اللهُ أَكْبَرُ» .. يَوْمَ فَجَّرَهَا الْفَتَى
رَقَّتْ، كَطَيْرٍ فِي السَّمَاءِ يُغْرَدُ

حَمَلْتُ جِرَاحَاتِ الْأَسَى، وَعَذَابُهُ
وَتَنَقَّلْتُ، تَرَوِي الْحَكَايَا، تَسْرُدُ

مِنْ أَيْنَ؟ مَنْ هَذَا الْفَتَى؟ مَا إِسْمُهُ؟
وَلِمَنْ أَطْلَ صَبَاحُهُ الْمُتَوَقِّدُ؟

حَمَلَ الْعَذَابُ شَهْوَرَةَ وَسْنِينَهُ
وَأَتَى كَمَا السَّيْفُ الْمَهْنَدُ يُجْرَدُ

مِنْ شَاطِئِ الْأَحْزَانِ، حَيْثُ تُرْعِرَعَتُ
رُوحُ الْبَطُولَةِ، .. وَجْهُهُ الْمُتَمَرِّدُ

ومن «النصيرات» الذي قاسى الفتى
ليلايته، دوى النفير المُرعدُ

إن «النصيرات» الحبيب مكبلُ
بسلاسل الغزو الرهيب، مُقيّدُ

وجراجُهِ، لمّا نزل مفتوحةُ
ما من يد تأسو الجراح تُضمّدُ

ما زالت الدُّورُ التى عن أهلها
سُلخت، تثيرُ حنينه، وتُجدّدُ

ما زال: ماذا عنه فيضُ خواطرٍ
تتّرى، وأفكارٌ تُثارُ وتُسردُ

هو كان، لما أسست أكوأخه
وأقيم يحلم بالرجوع، ويوعّدُ

العائدون به على ميعادهم
يترقبون متى يحين الموعدُ

نشأ التلاميذ الصغار تواليًا
أجيال في حِضْنِ الشَّقاوة تولدُ

يتعلمون صباح كلِّ ترقبٍ
أنَّ الجهاد هو الطريقُ الأوحَدُ

وبأنَّ مَـوَطِنَهُمْ، لهم أبدأ، وإنْ
طالَ الطريقُ بهم، وعَزَّ المَقْصِدُ

كانَ الشَّتاءُ يزورهم، فيشيرهم
ويورقُ الليلَ الطويلَ، ويُسهِدُ

وتظلُّ أعينهم، تتابعُ قطرةً،
في قطرةٍ، مِنْ قطرةٍ، تَتَفَصَّدُ

والموتُ، منجلُ حاصِدٍ مُستكَلِبٍ

جوال ينتزعُ الحياة، ويحصدُ

عيشُ اللجوءِ، ومنْ يُكابِدُ بؤسَهُ
يَدْرِى لماذا اللاجئونَ تَمَرَدُوا

(٣)

هُوَ مِنْ «قَطَاعِ»، صامِدٌ مُسْتَبْسِلٌ
منهُ الشَّرَارَةُ والدَّوَى المُرْعَدُ

حملَ الأذى زمنًا، وما مِنْ مَرَّةٍ
خَانَ الأمانةَ شَعْبُهُ المتَجَلْدُ

الجوعُ يصرخُ فِيهِ، فى أنحائه
والموتُ يصخبُ ظالمًا ويُعْرِيدُ

كَمْ طفلةٌ غالوا ابتسامةَ عُمرِها
ولكم صَبِي يَتَمَوَّهُ وشَرَّدُوا

وَلَكُمْ أَلُوفٌ عَوَقَوْهُمْ غِيلَةً،
أَوْ كَسَّارُوا أَطْرَافَهُمْ، أَوْ قَيَّدُوا

«أَنْصَارُ» يَا وَطَنَ الْعَرُوبَةِ سُبَّةً
فِي وَجْهِ مَنْ شَجَبُوا الْبَلَاءَ وَنَدَّدُوا

فِيهِ مِنَ الْأَلَامِ مَا لَا مِثْلَهَا
عَيْنٌ رَأَتْ أَوْ أَبْرِيَاءَ هُدَّدُوا

حَظَرُ التَّجَّوُلِ تَحْتَهُ فِي ظِلِّهِ
يَتَحَرَّكُ الْجَيْشُ الْمَغِيرُ، وَيُفْسَدُ

أَيَّامُهُ تَمْضِي كَمَا لِيلَاتُهُ،
سُودَاءَ حَالِكَةٍ، تُذَلُّ، وَتُجْهِدُ

يَتَقَلَّبُ الْبَاغُونَ، كُلُّ مَغَامِرٍ
مِنْهُمْ يُجَازِي رُبَّ حَظٍّ وَيُفْنِدُ

وَيُظِلُّ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ قِطَاعُنَا

فِي وَجْهِهِ مِنْ ظَلَمُوا يَعِزُّ وَيُصْنَمُ

تَتَنَاقَلُ الدُّنْيَا، حَدِيثَ شَقَائِهِ
وَتَبْسَاتِهِ وَصُومُودِهِ، وَتُمَجِّدُ

(٤)

غَنَى صَغِيرًا «عَائِدُونَ» وَلَمْ يَعِدْ
وَتَخْلَفَ النَّصْرَاءُ عَنْهُ، وَحُيِّدُوا

رَسْمَ الْبِلَادِ بِقَلْبِهِ وَعِيُونِهِ
شِبْرًا، فَشِبْرًا، بِالدِّمَاءِ تَحْدُدُ

سَكَنَتُهُ إِنْسَانًا يَمُوجُ طُمُوحُهُ
لَغْدٍ يُضَيُّ بِهِ، وَيُسَعِّدُهُ الْغَدُ

قَدْ شَاءَهَا وَطَنًا عَزِيزًا نَاعِمًا
بِالنَّصْرِ يَرْفُلُ، بِالْحُبِّ يَسْعَدُ

قد شاءها وطننا ترفرف فوقه
أعلامه، وبه يعزُّ ويحمَدُ

ما خائنه يوماً، ولا عن دربه
مـالت به ريحٌ ولا طاشت يدُ

(٥)

دارَ الفتى، عينان في أفق الدُّما،
تتلا لأن، وقد أطلَ المُوعدُ

في الاعتقال، وفي السَّلاسل إخوة
من أهله ذاقوا العذابَ وقُيِّدُوا

فهناك في حِضْنِ «النُّصيرات» الذي
في الانتظار حبيبةٌ تتوجدُ

هي أمُّه من أرضعتَه رجولةً،
وبطولةً، وبه تتبيهُ وتُسَعَدُ

تَدْرِى، بَأَن طَرِيقَهُ مُلَغُومَةٌ
تَدْرِى.. وَيَدْرِى قَلْبُهَا، وَيُعَدُّ

لَكِنَّهَا نَذَرَتْهُ مُنْذُ وَجُودِهِ
لِبِلَادِهِ.. وَفُرَادَاهَا يَتَنَهَّدُ

هِيَ مِثْلُ كُلِّ الْأُمَمَاتِ تَرِيدُهُ
يَهْنَى، وَيَبْنَى عُسْشُهُ، وَيُشْيِيْدُ

لَكِنْ ظِلُّ الْاِحْتِلَالِ، وَقَهْرُهُ
يُنَايِ بِأَعْلَى الْأُمْنِيَّاتِ وَيَبْعُدُ

تَصْحَحُونَ تَنَامُ عَلَى خَطَايِ أَجْنَادِهِ
مَحْمُومَةٌ تُشْقِي الْحَيَاةَ وَتُفْسِدُ

الْاِحْتِلَالُ بِقَهْرِهِ، وَيَظْلِمُهُ
عَمَاتٌ يَدْمُرُ فِي الْبِلَادِ يُعْرِبِدُ

(٦)

غال عليها ابنها، ونجيتها
يمضي على الدرب المخوف، ويعد

غال عليها، أن يهدم بيتها
ويدمر العش الذي قد شيّدوا

لكنما الأعلى عليها أرضها،
وترابه، وترائه، والمخبر

لكنما الأعلى بلاد تفتدي
وتحرر يرجى، وفجر يولد

كانت هديتها إليه قبله
فوق الجبين، ودمعة تتجمد

قالت: على اسم الله خطوك فانطلق

تُرعى بعين الله أنى تُوجدُ

كَبِيرٌ قَلَّتْ كَبِيرٌ فى أوطاننا
رجعُ، كزلال، يَمُورُ ويُرعدُ

(٧)

هو فى طريق القدس، . . . وهى عروسه
عندَ «النصيرات» المحاصر ترقُدُ

ما زال فى أحشائها من نبضه
أملٌ، من الحزن الكبير سيولدُ

ما إذا ترى قالت له، لما مضى
وبأى قلبٍ ودعت تَجَلَّدُ

هي مثلُ، كلِّ الباسلاتِ نسائنا
يَعرفن أن طريقنا لا توُصَدُ

يعـرْقَن أن الموتَ مِن غـاياتنا
نرضى بلوعته، ولا نُستَغْبَدُ

هى قدراته أَمَامَها، وجنودهم
يتكاثرونَ عليه، وهو مُقَيَّدُ

ضَربُوه ظُلْمًا بالعِصَى وَكَسَّروا
أضلاعَ إخوانه وَلَمْ يترددوا

لم يَرْحَمُوا الشَّيخَ المُسنَّ أَمَامَه
داسوه، واجتروا عليه تَعَمَدوا

داسوا كرامته، أهانوا أهله،
وأمامَ عينيه استباحوا واعتدوا

تَدْرِى بأنَّ العيشَ دونَ كرامة
لا يرضيه حبيبُها المُتَمَرِّدُ

هى إذ تُودعه، وحشرجةُ الأسى

فِي صَدْرِهَا، مِنْ لَوْعَةٍ تَتَرَدَّدُ

تَرْنُوا إِلَيْهِ، وَفِي لَهَيْبِ عِيُونِهَا
شَيْءٌ تُكْتَمُّهُ، فَلَا يَتَحَدَّدُ

شَيْءٌ كَمَا الدَّمْعُ الَّذِي مِنْ رُوحِهَا
مِنْ قَلْبِهَا مِنْ عُمُقِهَا يَتَقَصَّدُ

بِرُكَاثِهَا يَغْلَى، وَأَشْيَاءُ تُرَى
مَتَلَحِّقَاتٍ مُسْرِعَاتٍ تُورَدُ

صُورٌ عَنِ الزَّوْجِ الْحَبِيبِ الْمُرْتَجَى
يَمُضِي كَمَا الطَّيْفُ الْغَرِيبِ، وَيَبْعَدُ

نَهْرُ الْحَنَانِ، حَبِيبُهَا، وَنَجْيُهَا
وَأَبُو جَنِينٍ فِي الْحَشَا يَتَهَدَّدُ

وَتَلْفٌ بِالشَّالِ الْمُطَهَّرِ رَأْسَهُ،
وَتَضُمُّهُ، عِنْدَ الْوَدَاعِ، تَزْغَرْدُ

تَدْرِى بِأَن صَغِيرَهُ مِنْ غَيْرِهِ
سَيَظِلُّ يَسْأَلُ مُوجِعًا، وَيُرَدِّدُ

سَيَظِلُّ، يَسْأَلُ، عَنْ أَبِيهِ تَلْهِفًا
وَيَظِلُّ يَحْلُمُ بِاللِقَاءِ، وَيُوعَدُ

سَتَقُولُ يَا وَلَدِي أَبُوكَ قَدْ افْتَدَى
وَطَنًا تَنَاوَشَهُ الذُّنَابُ الشُّرُودُ

مِنْ أَجْلِ أَنْ تَحْيَا كَرِيمًا شَامِخًا
وَمَعَزْزًا، غَابَ الْحَبِيبُ السَّيِّدُ

غَابَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ مِنْ أَحْلَامِهِ
الْأَحْلَى، وَإِسْمُكَ، بِاسْمِهِ سَيُخْلَدُ

طَلَبَ الشَّهَادَةَ، وَهِيَ أَغْلَى غَايَةٍ
لأَحِبَّةٍ، عَشَقُوا الْمَوَاطِنَ وَافْتَدَوْا

فَارْفَعْ جَبِينَكَ عَالِيًا، وَمُفَاخِرًا

بَاب، عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ سَيَخْلُدُ

(٩)

نَسْرٌ غُسْدًا فِي الْجَنَاحِ مَسَافِرٌ
بَيْنَ النُّجُومِ جَنَاحُهُ الْمُتَوَقِّدُ

يُغْلُو وَيَهْبِطُ، لَا يَكْفُ مَسَارُهُ
وَيُظِلُّ أَشْرَعَةً تَمُوجُ وَتُفَرِّدُ

وَأَمَامَهُ، مِنْ خَلْفِهِ، مِنْ تَحْتِهِ
مِنْ فَوْقِهِ، رَشَقُ السَّهَامِ يُسَدِّدُ

وَيُظِلُّ مِنْ دَمِيهِ، يُحْنِي ثُرْبَةً
سَمَرَاءَ ضَمَّخَهَا اللَّظَى الْمُتَوَرِّدُ

(١٠)

هَلْ لِلنَّوَارِسِ، أَنْ تَحُطُّ رِحَالُهَا
مِنْ بَعْدِ رِحْلَتِهَا الطَّوِيلَةِ تَرْقُدُ؟

هَلْ شَاطِئُ الْأَحْلَامِ مَازَالَتْ بِهِ

مِنْهُ، إِلَيْهِ لَفْتَنَةً وَتَوَدَّدُ

مَاذَا أَتْرَحِي الدَّالِيَاتُ قُطُوفَهَا،
وَجَدَائِلُ الصَّفْصَافِ هَلْ تَتَمَسَّدُ

وَهَلِ الشَّذَى الْهَفْهَفُ مِنْ لَيْمُونِهَا
مَا زَالَ يَنْفَحُ بِالْأَرِيحِ، وَيَرْفِدُ

مَا لِلنَّوَارِسِ كُلِّمَا شَامَتْ عَلَى
بُعْدِ مَحَطِّ رَجَائِهَا تُسْتَبْعَدُ

هَذِي طَرِيقُ الْقُدْسِ لَيْسَ يَرُودُهَا
إِلَّا الْإِلَى حَمَلُوا اللَّوَاءَ وَوَحَّدُوا

إِلَّا الْإِلَى حَافِظُوا عَهْدَ بَقَائِهَا
وَنَقَائِهَا، وَبِهَائِهَا، وَتَجَرَّدُوا

(١١)

هَذِي طَرِيقُ الْقُدْسِ، مِنْ «عُمُرٍ» إِلَى
أَبْنَائِنَا تَسْمُو بِهِمْ، وَتَمَجَّدُ

مَنْ بِالدماءِ الغالياتِ تَفَجَّرَتْ
مِنْهُمْ يُخَضَّبُ تُرْبُهَا، وَيُعَمَّدُ

الْقُدْسُ عاصمةُ لَنَا، وَلشَعْبِنَا
جِيلٌ إِلَى جِيلٍ تَدُومُ وَتَخْلُدُ

أَعْدَاؤُنَا، مَنْ هَدَّمُوا أَيْمَانَنَا
ظُلُمًا، وَمَنْ جَارُوا عَلَيْهَا وَاعْتَدُوا

حَلَمُوا بِهَا، نَذْرِي، وَمِنْ أَحْلَامِنَا
أَلَّا يُقِيمُوا عِنْدَهَا، أَنْ يُطْرَدُوا

قَلْنَا مِنَ الْمَاضِي، وَمِنْ آيَاتِهِ
عِبْرًا بوقفاتِ الجهادِ تُؤَيِّدُ

هَاتُوا الصَّلِيبِينَ، هَاتُوا بَعْدَهُمْ
جَيْشَ التَّنَارِ، وَجَمْعُوهُ، وَاحْشُدُوا

لِنُعِيدَ تَارِيخًا، تَلَا حَرْفُهُ

بِالنَّصْرِ ، يَطْرُدُ حَشْدَكُمْ وَيُبَدِّدُ

إِنَّا عَلَى مِيعَادِنَا ، فَتَرَقَّبُوا
فِي كُلِّ فَجْرِ ثَوْرَةٍ تَتَوَعَّدُ

هِيَ ثَوْرَةُ الْفَقْرَاءِ يَمْضِي خَطْوُهَا
لَا خَائِفٌ فِيهَا وَلَا مُتَرَدِّدٌ

هِيَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، مِنْ آيَاتِهِ
تُملَى عَلَى جَيْلِ الْفِدَاءِ وَتُسْرَدُ

إِنَّ الْجِهَادَ عَقِيدَةٌ فِي شَرْعِنَا
وَهُوَ اللَّوَاءُ الْوَاحِدُ الْمُتَّوَحِّدُ

عَيْنٌ عَلَى الْقَدْسِ الشَّرِيفِ ، وَبَيْتِهِ
وَبِمَكَّةَ الْبَيْضَاءِ ، عَيْنٌ تَرصُدُ

وَعَلَى شُطُوطِ الْأَطْلَسِ خِيُولُهُ
وَجُنُودُ «عُقْبَةَ» ، وَالْجُيُوشُ الْحَشْدُ

حَمَلَ الرُّسَالَةَ لَمْ يَخُنْ أَهْدَافَهَا
 طِفْلٌ بَغْزَةً يَافِعٌ مُسْتَمَرِّدٌ

يَرْمِي حَجَارَتَهُ بِوَجْهِهِ عِدَاتِهِ
 وَيَصُولُ فِي سَاحَاتِهِ، وَيُصَعِّدُ

وَتَدُورُ فِي الْأَفْقِ الْبَعِيدِ تَطْلُعًا
 عَيْنَانِ شَاقَّهِمَا الْحَيْنُ الْمُسَعَّدُ

إِنَّا بَرِغَمَ جُنُودِهِمْ، وَعَسْتَادِهِمْ
 لَا نَنْشَى عَنْ عَزْمِنَا، لَا نَقْصُدُ

لَسْنَا نَخَافُهُمْ وَبَرِغَمِ رِصَاصِهِمْ
 هَذَا الَّذِي مَطَرًا يَنْزِخُ وَيَرْفِدُ

لَسْنَا نَخَافُهُمْ، فَإِنْ حَجَارَةً
 مِنَّا تَوَاجَهَ حَشْدُهُمْ تَتَرَصَّدُ

حَجَرٌ إِلَى حَجَرٍ، وَيَهْدُرُ عَارِمٌ

من مـوَجِنَا، يعلو الدَّروبَ وَيُزِيدُ

(١٣)

قالوا بَأْنَا الْأَغْبِيَاءُ لَأَنَّا
مَا زَالَتْ الْأَوْطَانُ فِينَا تُوعَدُ

ولأننا بِثُرَابِهَا، وَحِجَابِهَا
وَقَضَائِهَا، وَسَمَائِهَا نَتَعَبَّدُ

ولأننا مَا رَمَلَتْ مِنْ أَرْضِهَا
إِلَّا وَفَى أَحَدًا قَنَا تَتَعَمَّدُ

ولأن مِنْ «رَفَحٍ» إِلَى «صَفْدٍ» لَنَا
فِيهَا وَقُوفٌ خَالِدٌ، وَتَوَجُّدٌ

ولأن «حَيْفَا» لَمْ تَزَلْ مِينَاءَنَا
ولأن كَرَمِهَا بِنَا يَتَوَرَّدُ

ولأن «يَافَا» فِي عِيُونِ صِغَارِنَا

لَمَّا تَزَلْ رَفْرَافَةً تَتَهَجَّدُ

وَلَا نَ «رَمَلَتْنَا» هُنَاكَ وَ«لَدْنَا»
نِيرَانُ أَشْوَاقٍ بِنَا تَتَوَقَّدُ

وَلَا نُنَا...، وَلَا نُنَا...، وَلَا نُنَا
وَيَطُولُ مَا يُحْكِي، وَمَا يُتَرَدَّدُ

قُلْنَا لَهُمْ إِنْ كُنَّا نَحِبُّ بِلَادِنَا
هَذَا غِبَاءً، فَالْغِبَاءُ مُخَلَّدُ

(١٤)

لَا سَلَامَ وَالْأَجْنَادُ فَرَّوْكَ رِءُوسِنَا
أَكْعَابُهُمْ، وَحُقُوقُنَا تَتَبَدَّدُ

لَا سَلَامَ إِنْ السَّلَامُ يُشْرِقُ نُورُهَا
يَوْمَ انْزِيَا حِ الْمَعْتَبِدِينَ وَتُقْصَدُ

إِنْ السَّلَامُ هُوَ الْعَدَالَةُ مَا سَوَى

هذا سلامٌ يُفْتَدَى ويؤيدُ

إن السّلام بأن تكونَ حقوقنا
محفوظة لا تستباح وتؤادُ

فَهَلِ العِدَالَةُ أن تُطاطىءَ رَأْسُنَا
لِلغَاصِبِينَ، ونُسْتَبَى ونُقَيِّدُ؟

وهلِ العِدَالَةُ أن يموتَ صِغارُنَا
جوعًا، ويطوينا الظلامَ الأسودُ؟

(١٧)

وَقَفَ الْفَتَى، وَالْقَدْسُ ملء عِيُونِهِ
تَبْدُو الْقِبَابُ مشوقةً والمسجدُ

«اللَّهُ أَكْبَرُ» ثم أتبعها الفتى
بالانتقامِ مزلزلاً يتوقدُ

سَلِمْتُ يَدُ عَرَفْتُ طَرِيقَ مَسَارِهَا
وَتَحَكَّمْتُ فِيهِ فَلَانَ الْمُقْوَدُ

مِنْ حَالِقٍ، أَلْقَى بِهِمْ لِحَاضِي ضِيهِمْ
لِلْمَوْتِ يَطْوِي جَمْعَهُمْ، وَيُبَدِّدُ

مُوتُوا كَمَا تَبْفُونُ أَنْتُمْ مَوْتَنَا
وَتَجَرَّعُوا كَأْسَ الْمَنِيَةِ وَاشْهَدُوا

فَمِنْ الْخِيَامِ مِنَ الْكَهْوفِ جُمُوعَنَا
تَأْتِي كَمَا الْمَوْجِ الْعَصُوفِ وَتَنْهَدُ

حَجَرٌ إِلَى حَجَرٍ، وَتَمْضِي ثَوْرَةٌ
شِعْوَاءُ عَارِمَةً تَضِجُ وَتُرْعِدُ

(١٨)

أَقْبَلْتُ فِي الْأَقْمَارِ أَرْوَعَ مَشْهَدٍ
اللَّهُ أَكْبَرُ جَلُّ ذَاكَ الْمَشْهَدُ

النَّارُ تَأْكُلُهُمْ، وَتَذَرُوا جَسْمَهُمْ
وَصُورَهُمْ يَعْزَلُونَ، وَأَنْتَ مُمَدِّدٌ

عَيْنَانِ مَطْبَقَتَانِ، يَالَيْتَ الشَّرَى
وَهَدَوْتُ إِنْسَانًا، وَقَلْبٌ مُجْهَدٌ

وَجْهٌ كَمَا بَدَرَ السَّمَاءُ مُجَلَّلٌ
بِالْكِبَرِيَاءِ مُنُورٌ مُتَوَرِّدٌ

غَضَّتْ جِبَالُ الْقُدْسِ عِنْدَكَ طَرَفَهَا
وَحَنَّتْ عَلَيْكَ مَشْوَقةٌ تَتَوَدَّدُ

شَرَّفَتْهَا، وَنَفَخْتَ فِيهَا رُوحَهَا
وَبَعَثْتَهَا تَسْمُو شُمُوخًا تَصْمِدُ

الانتفاضة منذُ شبَّ لهيبُها
هيهات تهدأ نارُها أو تُخمدُ

(١٩)

عيني عليك، حبيب قلبي من هنا
أرنبو إليك أنا الطريد المبعـد

وأراك حولك عصابة مجنونة
شوهاء باللائم المدمر تحشد

هم يسألونك . . فيم أنت فعلتها؟
عجباً . . أما علموا لماذا تحقد؟

أيقتلون صغارنا، ونساءنا
ونظف كالموتى، نباح، ونحصد؟

هم يسألونك من رفاقك؟ من ترى
خطوا طريقك؟ أحكموه، وحددوا؟

ومن الألى انتزعوا سهام عذابهم؟
واليهم وردوا السهام وسددوا

هو فعلهم يرتد مششومًا لهم،
وبمثل ما كالوا نكيل وتورد

هم يسألونك: ما انتماؤك؟ ويحهم
جأهوا فهل هذا سؤال يورد

الانتماء لكل حبة رملة
بالدم خضبها الشباب الأمجد

«شعبي هو التنظيم» قلت مجلجلاً
فيه نجمع للجهاد، ونخشد

نظمت منذ ولدت بين صفوفه
والشار تنظيمي الذي لا يُجحد

ما في فلسطين التي أنتم بها
إلا الذي من أجلها يتجدد

فلنا نقاء سمائها، وفضائها

والماء، والتُّرْبُ الَّذِي يَتَوَقَّدُ

ولنا ما أَذْنُهَا التِّي يعلو إلى
بابِ السَّمَاءِ هديرُها يترددُ

ولنا كنائسُها، ودورُ عبادة
اللهُ فيها بِالْحَبَّةِ يُغْبَدُ

فإذا صَلَّيْتُ أَمَامَكُمْ، وَتَجَلَّدْتُ
رُوحِي تُنْهَنُ فِي الْعَذَابِ وَتُجَلَّدُ

فلأننى أدري بأنَّ غُرُورَكُمْ
هَذَا، سَيَفْهَرُهُ الصَّمُودُ وَيَدْحَضُ

ولأننى بينى وبينَ أَحِبَّتِي
عَهْدُ الْوَفَاءِ مُخَلَّدٌ، وَمُوطَدٌ

ولأننى بالموتِ أَنَشِدُ غَايَةَ
تَسْمُوعِ الْعَيْشِ الذَّلِيلِ، وَتَخَلَّدُ

(٢٠)

يا ابنَ المعسكر إنَّ في أعناقنا
دَيْنٌ، وإن طال المدى سَيُسَدُّ

أيقظتَ فينا همَّةً مخبوءةً
ورددتها أملاً جميلاً يولدُ

قلتَ الذي قد قلتَ لحظة وثبة
جنُّ العدو لها، ومن قد هودوا

نصراؤهم زاحت عُيونُ بصيرةٍ
منهم، وطاش صوابُهم، وتجمدوا

فرَّد بجيشٍ، بالسرايا كلها
بجميع ما حشدوا وما قد جندوا

بالطائراتِ الهابطاتِ مَذَلَّةً
تهوى إليك كَسِيرَةً تستنجدُ

بمجنزرات، زاحفات مثلمات
الأفيال ترجمها الحجار، فتسجدُ

قلت الذي قل قلت إن رسالة
أرسلتها تُغيي البيانَ فيجمدُ

(٢٢)

يا فخر أمتنا، ورمز خلودها
يا أيها البطل العظيم السيّدُ

الشعرُ يسمو بالجهادِ ويعتلى
هَامَ النُّجومِ قصيدُهُ المتجددُ

الشعرُ لولا أنت جَفَّ مَعِينُهُ
وتبعثرت أبياتُهُ تتبدّدُ

الشعرُ زلزلةُ النفوسِ بصدقهِ
وعطائه تسمو النفوسُ وتُحمّدُ

الشَّعْر لَيْسَ تَرَا جَعًا، وَتَخْلُقَا
وَتَرْدَدَا عَمَّا نَرِيدُ، وَنَنْشُدُ

الشَّعْرُ غَايَتُهُ التَّحَرُّرُ وَالْعُلَا
وَسَبِيلُهُ النَّهْجُ السَّوِيُّ الْأَوْحَدُ

عَابُوا عَلَيْنَا أَنَّ نَبْرَةَ شِعْرِنَا
تَعْلُو وَأَنْ قَصَبِدْنَا يَتَوَقَّدُ

وَبَأْنَا مِثْلُ الرِّصَاصِ، كَلَامُنَا
يَأْتِي إِلَى صَدْرِ الْعَدُوِّ يُسَدِّدُ

عَابُوا عَلَيْنَا أَنْ نَأْ لَمَّا نَزَلْ
نَشْدُوا أَيَّامَ الْجَهَادِ، وَنَنْشُدُ

مَاذَا نُسَمِّيهِهَا فِلَسْطِينَا إِذَا
لَمْ تَأْتِ شِعْرًا رَائِعًا يَتَخَلَّدُ

فَلَنَا الشَّجَاعَةُ فِي مُوَاجَهَةِ الْأَلَى

جاروا على قُسدِ العُروبةِ واعتدوا

إنَّا نُسَمِّي القسَّاتلين بِإِسْمِهِمْ
ونُحدِّدُ الهدفَ الشَّريفَ وترصُّدُ

الشُّعُرُ بِإِسْمِكَ، يا حبيبَ قلوبنا
يبقى لأجسيسيَّالٍ تَجِيءُ وتولِّدُ

يبقى لهم، ليسفِيءُ دربَ وجودِهِمْ
ويكون نَبْراسًا، يُنارُ به الغدُ



تونس : ١٩٨٨



الشيخ أحمد ياسين



تكون..أو لا تكون

[وجهت زوجة الشيخ أحمد ياسين نداء للإنسانية من أجل
الشيخ المقعد المريض في سجون الاحتلال الإسرائيلي]

(١)

وَأَتَانَا، نِدَاؤَهَا وَالْحَنِينُ	حَمَلَ الْبَرْقُ، صَوْتَهَا.. وَالْأَيْنُ
زَوْجُهَا الطَّيِّبُ الْكَرِيمُ الْحَنُونُ	شَيْخُهَا الْبَاسِلُ الْأَبِيُّ الْمُرَجَّى
مَرِيضٌ مُعَذَّبٌ، مَطْعُونُ	فِي دُجَى السَّجْنِ فِي شِقَاءٍ لِيَالِيهِ
لَا طَبِيبٌ، لَا زَائِرٌ، لَا مُعِينُ	شَيْخُهَا الْمُقْعَدُ الْعَظِيمُ يُقَاسَى
فَهُوَ بِالْأَرْضِ مُغْرَمٌ مَفْتُونُ	قَدْ أَحَبَّ الْبِلَادَ - أَرْضًا سَمَاءَ

(٢)

حَمَلَتْهَا قُلُوبُنَا، وَالْعُيُونُ	قَالَ: مَا رَمَلَةٌ نَفَرَطُ فِيهَا
وَعَذَابٌ، وَحُرْقَةٌ وَحَنِينُ	هِيَ مِنَّا لَنَا اشْتِيَاقٌ وَوَجْدُ
وَعَهْدٌ عَلَى الْوَفَاءِ، وَدِينُ	هِيَ فِي عُرفْنَا عَقِيدَةُ إِيْمَانِ
لِصَدَاهُ، مُزَلْزِلٌ، وَمَكِينُ	قَالَ مَا قَالِ، وَالْجَمَاهِيرُ رَجَعُ
صَبُورٌ عَلَى الْجِهَادِ آمِينُ	مُقْعَدٌ أَعْجَزَ الْكَتَائِبَ وَالْجَيْشَ

(٣)

سَجْنُوهُ، وما دَرُوا أَيُّ شَيْخٍ
سَجْنُوهُ، وهو الطَّلِيقُ بِرُوحٍ
سَجْنُوهُ، ظننا، بأنَّ لهيبًا
سَجْنُوهُ، والسَّجْنُ يسمو شموخًا
هو هذا الْمُقَيَّدُ الْمَسْجُونُ
تَتَحَدَّى . . فَمَنْ تُراه السَّجِينُ؟
من لظاهُ، يَذلُّ يَوْمًا يَهُونُ
بِالْبُطُولَاتِ يَزْدَهَى وَيَزِينُ

(٤)

الجِيوشُ الْمُدرَّعاتُ إِلَيْهِ
ذَنْبُهُ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ باقٍ
ذَنْبُهُ أَنَّهُ يُجَاهِرُ بِالرَّأْيِ
ذَنْبُهُ أَنَّهُ يَقُولُ فِلَسْطِينُ
نَحْنُ لَا غَيْرُنَا، حِمَاةُ حِمَاها
قالَ . . ما قالَ، صامدًا لا يَبالِي
عَذْبُوهُ، فما تَرَاخَى ارْتِدادًا
هو يَدْرِى بأنَّ عُمَرَ أَعادِيهِ
زاحفاتُ تَذَلُّ خِزْيًا تَدِينُ
لا يَبالِي بِعَسْفِهِمْ لا يَلِينُ
وَيُعَلِّي لواءَهُ، وَيَصُـوونُ
لنا نَحْنُ شَعْبُها المَأْمُونُ
نَحْنُ درعُ لها، ونَحْنُ الحُصُونُ
بِشَواظِ العَذابِ لا يَسْتَكِينُ
لا، ولا هَزَّةَ العَذابِ الْمُهِينُ
قَصِيرٌ، وَعَهْدَهُم مَطْعُونُ

(٥)

سَأَلُوهُ: لِمَنْ فِلَسْطِينُ هَذِي
اسْأَلُوا حَوْلَكُمْ، تُجِيبُ لِيالٍ
اسْأَلُوا حَوْلَكُمْ، تُجِيبُ الْعَصافِيرُ
اسْأَلُوا حَوْلَكُمْ، تُجِيبُ جِبَالُ
وَلِمَنْ يَهْدُرُ اللَّظْيُ الْمَجْنُونُ؟
هِيَ مِنّا لِناتُجِيبُ السُّنُونُ
يُجِيبُ . . الليمونُ، والزَّيْتُونُ
وسَهولٌ، وأربعٌ، وحُزُونُ

اسألوا حولكم، تجيبُ رواي
 إن هذا الترابَ غال علينا
 هذه دورنا شواخصُ تحكى
 القدس تحكى أخبارها حطينُ
 وعزيزُ، مُقدَّسٌ وثمانُ
 فاسمعوا صوتها يُجيبُ اليقينُ

(٧)

الجهادُ الذى رفعنا لواءه
 لا انثناءً، ولا ارتداداً ولكنُ
 بالدماء، الدماء نروى ثراها
 إن من علم الجهاد صغيراً
 حاوروه ليلاً، نهارةً وخابوا
 هو من أجلها عزيزُ مكينُ
 ثورة غيبتها سكوب هتونُ
 لا جبان فى صفنا لا خئون
 لا يُبالى متى تكون المئون
 فهو كالسيف جارح لا يلينُ

(٨)

مُقعدٌ صوته، يُجلجلُ فى السَّجنِ
 هو أقوى من السَّلاسلِ والسَّجانِ
 آيةُ النصر فى محياه تعلقو
 هو يدري، أن الجماهيرَ زحفُ
 فتهتزُّ من صده السَّجونُ
 أقوى فؤاده، والجَّبينُ
 وهى فجرٌ، من الجهادِ مُبينُ
 لا انحناء، لا ردة، لا سُكونُ

(٩)

جاءنا الصَّوتُ، من بعيدٍ إلينا
 أتنادى؟ . . ومن تنادى؟ زمائنا
 أتنادى؟ ومن تنادى؟ رجالاتنا
 أتنادى السيوف؟ ما من سيوفٍ
 صوتها، وانفعالها المَحزونُ
 كلُّ مافيهِ، سيمى ملعونُ
 فى التفاهاتِ عمرهم معجونُ
 بعدُ قد خُبَّتْ، وغِيلَ العَرينُ

(١٠)

تَتَوَالِي الْأَخْبَارُ، تَتَرَى إِلَيْنَا
أَهْلُنَا الصَّامِدُونَ، مَا مِنْ مُجِيرٍ
شُغِلُوا عَنْهُمْ، فَلَيْسَ عَجِيبًا
أَنْ يَنَامُوا عَلَى جِرَاحِ الْمَاسِي
خَيْمَ الصَّمْتِ، فَالْدِّيَارُ خَوَاءٌ
يَتَسَلُونَ بِاجْتِرَارِ الْأَمَانِي
فَالْتَحَفَ بِالصُّمُودِ عِزًّا، وَصَبْرًا
لَا تُبَالِي مَهْمَا تَجُورُ الْعَوَادِي
الْجِهَادُ.. الْجِهَادُ، مَا مِنْ سَبِيلٍ
وَالْجِهَادُ، وَالْمُؤْزَرُ الْمِيْمُونَ
لِنِدَائِهِمْ، وَلَا صَبَّاحُ مُبِينٍ
أَنْ يُشِيحُوا وَجُوهَهُمْ أَنْ يَهْوَنُوا
لَا التَّفَاتِ، لَا ثَوْرَةً، لَا حَنِينَ
دَبَّ فِيهَا الْخَرَابُ، وَالطَّاعُونَ
وَالْأَمَانِي بِلُغْغِهِنَّ ضَنِينَ
يَا كَرِيمَ الْجَنَابِ، يَا «يَاسِينَ»
أَوْ يَشِشَاءُ الْمَرَاوِغُ الْمَجْنُونُ
غَيْرَ هَذَا، نَكُونُ.. أَوْ لَا نَكُونُ

❦❦❦❦❦

تونس: ١٩٨٩



منظر الدهشان

منذر الدهشان

[عن النبي منذر الدهشان الذي
يواجه في سجون العدو،
حكماء بثلاثة مؤبدات]

(١)

- : من أين «منذر الدهشان»
: من «حارة الزيتون» من مشارف «العمدان»
- : من منكمو توقفت عيناه،
تقرأ الأسماء،
توقظ التاريخ
ترجع الزمان

(٢)

فهذه الحارة،
ذات يوم،
حاصرت دروبها الغربان
جحافل التتار، أقبلت مسعورة،
يقودها الشيطان،
تحمل أسوأ ما سطر التاريخ،
في صفحاته، وسجل الزمان
من بعد ما قد دمرت بغداد

أَحْرَقَتْ تُرَائِهَا ، وَاجْتَا حَتُّ الْبَنِيَانِ
 عَلَى مَشَارِفِ الْمَدِينَةِ ، الْعَزِيزَةِ الْمَكَانِ
 تَجْمَعَتْ حَشُودُهُمْ ، وَأَطْلَقَ الْإِنْدَارَ
 « كَتَبُوا غَايَتَهُمْ » وَكُرِّرُوا الْإِعْلَانُ
 « اسْتَسْلِمُوا ، وَسَلِّمُوا ، أَوْ نَعْمَلُ
 السَّيْفَ بِكُمْ ، وَنُشْعِلُ النَّيْرَانُ »
 وَ« غَزَا » الْمَدِينَةَ الشَّامِخَةَ الْعَرْنِينَ
 وَالْجَامِحَةَ الْعَنَّانُ . .
 صَامِدَةً فِي وَجْهِهِمْ ،
 تُعْلَنُ رَفْضَهَا الْجَمُوحَ
 تُعْلَنُ الْعَصِيَانُ

(٣)

وَهَاهُنَا ، فِي سَاحَةِ « الْعُمْدَانِ »
 تَجْمَعُ الْفُرْسَانُ
 مِنْ « مَصْرٍ » مِنْ مَحْرُوسَةِ الرَّحْمَنِ
 تَوَافَدُوا ، يُكْبِرُونَ ، يَصْدَحُ الْأَذَانُ
 وَكَانَ ، مَا قَدْ كَانَ
 الْفَارِسُ الشَّجَاعُ « بَيْرِسُ »
 طَارِدَ الْغَزَاةَ رَدَّهَمْ « لَعَيْنِ جَالُوتَ »

«إسلاماه» تخرقُ الأجواءَ
تبلغُ السَّماءَ،
توقظُ الموتى، وتُشعلُ الذُّرى
وتلهبُ الكُتُبَانُ
و«قطرُ» والسَّيفُ اليمانيُّ،
يدورُ في الشمال، واليمين
لا يكفُ، يحصدُ الرؤوسَ
يُبدعُ الطَّعانَ .

(٤)

وفي الصفوف كانت «غزة» الرجالِ
يومها حاضرةً، بكلِّ كبرها الطَّالعِ
من تُرابها، والعُنُقوانِ
عن أمة الإسلامِ،
كانَ ذاكَ اليومُ
عن كرامة الإنسانِ
بوقفة الرجالِ، كانَ النُّصرُ ساطعاً
يُشرقُ مثلَ، الشَّمسِ،
يذخرُ الدُّجى،
ويقهرُ السُّلطانَ

(٥)

هذي هي العمدانُ

وهذه «غزة» يا «منذر»
منذُ أوَّلِ الزَّمانِ ،
حتى آخرِ الزَّمانِ
القلعةُ التي على أبوابها
يَسْتَسْلِمُ الغزاةُ ،
يرفعونَ الرُّايةَ البيضاءَ
يُهْزِمُ الطُّغْيَانُ . .

(٦)

«غزة» يا حبييها ،
تحكى ليايها وتروى ،
قصةَ الفتى الدهشانِ
أحبَّها ، وذادَ عَنْ حَيَّاضِها ،
قاتلَ ، كانَ قدوةَ الفتیانِ

(٧)

يا «منذر الدهشان»
كَمْ مؤبَّدِ شأوهُ ،
فى أحكامهمْ ، فى شرعة البهتان؟
فى الزمنِ الردىِّ ، وألمهان
يُحاكَمُ البرىُّ ،
والمقاتلُ الجرىُّ ،
يَحْكُمُ المدانُ

لأنه . . يا «منذر» الحبيب،
 فى زماننا المعوج،
 غُيِّرَتْ أَعْرَافُهُ، وَبُدِّلَتْ،
 وانقلبَ المِيزَانُ

(٨)

أُمُّكَ يَا حَبِيبَتِي،
 قَدْ زَغَرَدَتْ، وَلَوْحَتْ مَنَدِيلُهَا
 مُخْتَالَةً، يَقْطُرُ مِنْهُ الْحُبُّ وَالْحَنَانُ
 يُعْطِرُ السَّمَاءَ،
 بالفداء،
 عَالِيًا، وَعَالِيًا يَرْتَفِعُ النَّيْشَانُ

(٩)

قَدْ زَغَرَدَتْ أُمُّكَ،
 لَمْ تَشُقْ ثَوْبَهَا فِي وَجْهِهِمْ،
 لَمْ تَدْمَعْ الْعَيْنَانِ
 : - «إصمدا» تَقُولُهَا،
 يُرَدِّدُ الصَّدَى،
 الفَوَارِسُ، الْبَوَاسِلُ، الشَّجَعَانِ
 : - مَهْمَا دَجَى لَيْلُ الْأَسَى،
 واسودَّ،
 مَهْمَا اشْتَدَّتْ الْأَحْزَانُ

مهما القيودُ أحكمتُ وثاقها
 واسودَّت الجُدُرَانُ
 فقَدِمَ زَمَانُنَا الآخِرُ،
 قادمٌ مِنْ رَحِمِ الأزمانِ
 يُبَشِّرُ الثَّقَاةَ، والمرابطينَ
 فى خنادقِ الصُّمودِ
 بالسَّلامِ والأمانِ
 بساعةٍ آتيةٍ يُهدُّ فيها السَّجَنُ،
 مهما صُلِّبَتِ جُدُرَانُهُ،
 ويُسْحَقُ السَّجَانُ..



القاهرة ١٩٩٧



سهيله آندراوس



اعتذار.. والتكسار

[إلى سهيلة أندرواس
في سجنها البعيد]

(١)

نَعْتَذِرُ، وَنَتَكَسَّرُ، وَنُخَذِلُ نَحْنُ الشُّعْرَاءُ
فِي زَمَنِ الرَّدَةِ . .
غُيِّرَتْ الْكَلِمَاتُ، وَبُدِّلَتْ الْأَسْمَاءُ
لَنْ نَسْأَلَ بَعْدَ الْيَوْمِ
عَنْ «الْمَعْتَصِمِ» الْغَاضِبِ لِلشَّرَفِ الْعَرَبِيِّ
وَلَنْ نَتَحَدَّثَ عَنْ «أَسْمَاءٍ» أَوْ الْخُنَسَاءِ
أَصْبَحْنَا نَحْنُ هُنُودَ الْعَصْرِ الْحَمْرِ،
وَسَقَطَ مَتَاعُ الْأَجْرَاءِ . .

(٢)

يَا قَمَرَ فِلَسْطِينَ الْغَارِقِ فِي الظُّلُمَاءِ،
يَا بَضْرَ الْحَرِيَّةِ يَا كَلِمَتَهَا،
يَا وَرَدَتَهَا الْحَمْرَاءُ
يَا «قُدْسُ» . . وَيَا «يَا فَا»،

يا «حيفا» المقهورة، يا «عكا»
يا إسمَ فلسطين الضائع،
والمذبوح بسيفِ الأهواء،
يا صرخةَ كُلِّ الأسرى المنسيين،
وكلِّ السُّجناءِ،
يا بنتَ التيه، وبنتَ الغُربةِ،
يا بنتَ البؤساءِ . .
من يسمعُ صوتَكَ، هل يقدرُ أحدٌ،
أن يرفعَ إصبعَهُ في استحياءٍ . .

(٣)

في زَمَنِ الدَّجالينَ،
وزَمَنِ الثَّرثارينَ،
وزَمَنِ الرَّقَّعاءِ . .
لا يطلعُ فجرٌ،
لا يورقُ غُصْنٌ،
لا تهدلُ ورَقاءُ . .
لا تَذرفُ عينٌ دُمعةَ حزنٍ،
لا تنبثُ شَفَّةٌ مِنْ وَجَعٍ،

أو من إعياء
النَّاسُ كَمَا الْحَيَّطَانِ
قُلُوبٌ جَامِدَةٌ صَمَاءَ،
لَا تَسْمَعُ صَرْخَةَ لَيْلَى
طِفْلَتِكَ،
تُنَادِيكَ صَبَاحَ مَسَاءَ

(٤)

يَا غُصْنَ الزَّيْتُونِ الْمَكْسُورِ، عَلَى
مِثْدَنَةِ الْأَقْصَى، الْبَيْضَاءُ،
يَانُوحَ شَوْطِنَا النَّائِقَةِ إِلَيْكَ
وَيَا نَفْحَ رَوَابِينَا الْخَضِرَاءُ.
أَعْتَدِرُ إِلَيْكَ،
وَأَشْهَدُ أَنَّكَ أَقْوَى مِنَّا
أَقْوَى مِنْ كُلِّ الْعُظَمَاءِ
وَكُلِّ الْكِبَرَاءِ،
أَقْوَى مِنْ كُلِّ الْكَذَّابِينَ،
الدَّجَالِينَ، وَكُلِّ الْفُصْحَاءِ

من يقدرُ منهمُ أن يغضبَ
أو يصرخَ أو يستأْ

(٥)

أسألكِ العفو،
فنحنُ المقهورونَ من الأطلنطِ
وحتى الشَّط العربي،
وحتى صنعاءُ
نتوسلُ منكِ العفو،
ونُقرِّوكِ سلامَ الضُّعفاءِ

(٦)

نعتذرُ إليك، ونعتذرُ لشاعركِ،
لليلي، ونقرُّ بأنَّنا سُخفاءٌ..
نعتذرُ إليكِ،
لأنَّا نحنُ خَرَسْنَا،
وجَبْنَا وتَقَاعَسْنَا،

عن صرّختك الحفر ساء . .
نعتذرُ لليلي ، تنمو كالصُّبَّارِ
وتنبّتُ في وسطِ الصحراءِ . .
نعتذرُ لأحمد ،
نحنُ تَخْلِينَا عَنْكَ وعنهُ ،
وعن ليلاك ، وعن كُلِّ الشُّرفاءِ .



القاهرة : ١٩٩٦



الحبس الإداري

[.. ابتدع العدو الصهيوني أساليب شتى لتعذيب
شعبنا تحت الاحتلال منها الحبس الإداري .. صرخة
واحدة من مئات نساءنا الصاهرات]

(١)

لمن أشكو ثرى الحبس الإداري
بلا ذنب، بلا أي اعتبار
فستة أشهر تمضي لتأتي
على عجل بتكرار القرار

(٢)

لقد ذهَمَ الجُناة، سُكُونَ بَيْتِي
وَهَزُّوا فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ دَارِي
وَمَارَحِمُوا، وَلَا رُقُوا الْعَجْزِي
وَلَا التَّفْتُؤَا، لِتَرْوِيعِ الصُّغَارِ
لِسَابِعِ مَرَّةٍ، يَأْتِي ظُلُومًا
قَرَارُهُمْو بَتَّجْدِيدِ الْإِسَارِ

(٥)

أهذا العدلُ في زَمَنِ التَّـرَدِّي
وفي زمن المذَلَّةِ والصَّـفْـفَارِ؟
الإنسانُ عندهمـو حقـوقُ
وفي وطني يُسَامُ بالاختِـقَارِ؟
أَسْأَلُهُمْ تُرى ما ذَنْبُ زوجي؟
وَفِيـنِـمَ يَظَلُّ رَهْنَ الْإِنْتِظَارِ؟
وَأَسْأَلُ، لا أَجَابُ... بأي ذنبٍ
تُرى عاودتمو الحَبْسَ الإداري؟

(٤)

وَيَسْأَلُنِي، صِفْـفَارِي كلَّ يومٍ
مَتَى يَأْتِي، وَأَعْجِزُ أو أَدَارِي
ولا أَسْطِيعُ أنْ أَحْـسِرِي جِـوَابَا
لأطفالي، ولا يجدي اعتذارِي
أقولُ لَهُمْ، غَدَاةَ غَدٍ سَيَأْتِي...
ولا يَأْتِي، فَاغْرِقْ في انكساري

(٥)

أعيشُ توالي الأيامِ حـبـري
مُضَيِّعَةً، بـلـبـلى أو نـهـارى
وأعـجـز أن أـزـحـزح عـن عـيـونى
خـيـالات الشَّقَاءِ والـأنـهـيـارِ
أفـي الدُّنـيـا شـقـاءٌ مـثـلُ هـذا،
الـذـى أنا فـيـه مـن حـزـنٍ ونـارِ

(٦)

صـغـاري كُـلِّمـا زاروا أباهمُ
رَمُونِي فـى مـتـأهاتِ القـفـارِ
أجـدُفُ، لا أرى إلا سـرـابـاً
يُراوِغُنِي، فـأغـرقُ فـى الغـُـبـارِ
وألـجـمُ لستُ أحـري مـن جـوابِ
لأسـئـلةِ الأعـزاءِ الصـغـارِ

(٧)

لماذا . . ؟ فـيـمَ ؟ لا أحـدٌ يُـلـبـي

ندائي أو يردُّ على انهـيـاري
 أنسانيَّة هـذي لعمري
 ملطخة بعـارٍ، أي عـارٍ
 بلا حُكْمٍ، ومَحْكَمَةٍ وعـدلٍ
 يظلُّ رفيق عمري في الإسـارِ
 لمن أشكو، وماذا قـد تَبَقَّى
 لَدَيَّ من الشُّكَاةِ والـانفـجـارِ
 أنا أم، وكم أم كـمـثـلي
 ملووعة من «الحبس الإداري»



القاهرة ١٩٩٧



سمر سامي العلمي



يا أنت يا سمر...

[إلى سمر سامي العلمي
في سجنها البريطاني العميد]

(١)

ماذا أقولُ يا سَمْرُ . . .
وكلُّ شيء ضاعَ من عيوننا انتَحَرُ
ما عادتُ الشَّمْسُ ، تُحاربُ الظُّلَامَ ،
وما عادَ القَمَرُ

(٢)

غزةُ ، وطنُ الأهلِ ، ودارُهمْ ،
تسألُ عنك ، يسألُ الشَّجَرُ
ويسألُ الشَّاطِئُ ،
يسألُ الموجُ الذِي ، على رماله انكسرُ
وتسألُ الدُّروبُ ، والأزقةُ التي
تملأها الحُفَرُ
وتسألُ العصافيرُ ، على جدائلِ الزيتونِ ،

والليمون، تَسْأَلُ الْأَصَالُ وَالْبُكَرُ

(٣)

تَسْأَلُ عَنْ صَبِيَّةٍ، وَاعْدَةٍ،

غَابَتْ سَنِينًا،

غَابَ أَهْلُهَا فِي التَّيِّهِ،

فِي السَّقَرِ

تَسْأَلُ عَنْ أَسْرَتِكَ الَّتِي

مِنْ أَكْرَمِ الْأَسْرِ

تَسْأَلُ عَنْ سَامِي،

وَعَنْ زَهِيرٍ، عَنْ عَدْنَانَ،

تَسْأَلُ الزُّمُرَ

(٤)

غَزَّةُ يَا سَمَرُ

كَمْ شَمَّرْتُ سَاعِدَهَا،

كَمْ أَقْلَعْتُ فِي حَوْمَةِ الْخَطَرِ

غَزَّةُ يَا سَمَرُ .

تَحْفَرُ اسْمُكَ الرَّائِعَ،

فَوْقَ قُبَّةِ الْجَامِعِ، فِي حَارَتِنَا،

وتنقشُ الذِّكْرُ
فهاشمُ، جدُّ النَّبِيِّ، جارُكمُ
وجارُ دارِكمُ، ما زالَ يَنتظرُ
عودتكمُ مبللينَ بالنَّدى،
معطرينَ بالزَّهرِ

(٥)

ماذا أقولُ يا سمرُ
قد ضاعَ مِنِّي القولُ،
شُوِّتَ في رَأْسِي الفِكرُ
فأنتِ في صُمودِ الأبي،
عبرةُ العبرِ
وأنتِ والأسرةُ في عيوننا
وفي قُلوبنا، مدى العمرِ
يا ابنةَ الشعبِ الذي
ما ذلَّ مرةً، ولا اندَحَرَ
فالانتفاضةُ التي منَّ أجلها
آثرتِ موقفَ الصُّمودِ والخطرِ
تبقى أعزَّ ما أبدعَ شعبُنا

العظيمُ ما ابتكرُ
والشُّهداءُ في عليائهمُ
يُعرِّشونَ حولَ السَّجَنِ،
يسألونكَ الصُّمودَ للقدَرِ

(٦)

شامخةٌ كما جبالِ القدسِ
والخليلِ، مثلما نابُلسَ يا سمر
ثابتةٌ كما صُودنا الأغرُ
تُعلِّمينَ القادمينَ من أجيالنا،
والنَّابتينَ في مَسالكِ الشرِّ
بأنَّ لا شيءَ يُساوى
لحظةَ افتداءِ الأرضِ،
لحظةَ الظَّفَرِ

(٧)

أواهُ يا سمرُ
يا زهرةَ النَّارِنجِ
يا سَوَسَنَةَ الوُدَيانِ
يا حبيبةَ السَّحَرِ
يا قمرًا أطلَّ في سماءِ غزّةِ،

التي هناك تنتظرُ
تَجَمُّلي بالصَّبْر، كَمْ شَعْبِكَ
في عذابه صبرُ
(٨)

ماذا أقولُ يا سمرُ !!
ماذا أقول بعدُ،
قصرُ الكلامُ واعتذرُ



القاهرة: ١٢ يناير ١٩٩٦

رسالة مفتوحة

[إلى القاضي البريطاني «باتريك جار لاند» الذي أصدر حكمه
على سمر العظمى وجواد البطمة بالسجن عشرين عاماً]

(١)

يا سيدى . . .
بكِتُ، عندَ نطقِ الحكمِ،
موجعاً، بكِتُها العدالةُ
بكِتُها لأنها، قد طعنتُ،
شعبى الحبيبِ،
خيَّتُ آمالهَ،

(٢)

أهذه هى العدالةُ . . ١٩٠
ألا يزالُ بعدُ، من يقولُ:
إن فى بريطانيا،
لها الجلالةُ . . !
وهى التى، قد أصدرتُ،
أحكامها،

وأملت الرسالة ..

وهي التي من أول القرن
نُجِّعُ الصَّابَ من كؤوسها،
إلى الثَّمَالَةِ ..

(٣)

يا سيدي القاضي :

أقولها :

المجد للقانون،

أرفعُ رأسي عاليًا .

أهتفُ دومًا عاليًا،

المجد للقانون

لكنني ياسيدي أسأل،

عَلَّ يَسْمَعُ الْمُحْلِفُونَ

عَلَّ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ

فِي لَحْظَةٍ مِنَ الصَّفَاءِ يُنْصَفُونَ

أسأل :

فِي أَيِّ شَرَايِعِ الدُّنْيَا،

يُسَلَبُ وَطَنٌ بِأَسْرِهِ

وَأَهْلُهُ إِلَى الْعَرَاءِ يُطْرَدُونَ؟

فى اى شريع،
ياكلُ الاغرابُ زادهم، وخيرهم،
وهمُ يجوعون، ويمرضون؟
فإن توجعوا، أو صرخوا،
أو حاولوا شيئاً يحاكمون!!

(٤)

يا سيدى،
ماذا جنى جوادى؟
وما الذى جنت سمرى؟
عشرون عاماً،
كيف . . ؟؟
من أين انتزعت الحكم؟
من دفاتر اللانتداب،
لما نزل تكوى فلسطين،
بنارها، وثؤنسر؟
منذ ثلاثاء جمجم،
وصاحبيه
والكوارث الآخر؟

مَنْذُ الثَّلَاثَاءِ الَّتِي ،
تَأْرَجَحْتُ بِهَا الرُّءُوسُ ،
وَالْأَرْوَاحُ ، وَالْفِكْرُ ؟
وَأَنْتُمْ ، أَمَامَنَا ، وَخَلْفَنَا ،
وَفَوْقَنَا ، تُحَاصِرُونَنَا بِالْمَوْتِ وَالْخَطَرِ
وَتَزْعُمُونَ أَنَّ الْعَدْلَ ،
مِنْ دِيَارِكُمْ إِلَى الدُّنْيَا انْتَشَرَ

(٥)

يَاسِيدِي الْقَاضِي . .
تُرَى سَأَلْتَ مَرَّةً ،
وَهَلْ تَسَاءَلَ الْمُحْلِفُونَ ، وَالْحُجَّابُ
عَنْ دُورِنَا الَّتِي يَسْكُنُهَا الْأَغْرَابُ
وَعَنْ كُرُومِنَا الَّتِي ، يَدُورُ فِي أَنْحَائِهَا النَّهَابُ
هَلْ سَأَلُوا مَاذَا تُرَى قَدْ فَعَلْتُ
بِنَا بَرِيطَانِيَا . وَالْإِنْتِدَابُ
هَلْ حَاولُوا أَنْ يَفْتَحُوا الْكِتَابُ
أَنْ يَقْرَأُوا كَيْفَ أَتَوْا بِوَعْدِهِمْ
قَدَمَرُوا حَيَاتِنَا ، وَعَمَّمُوا الْخَرَابُ

(٦)

يا قاضي القضاة
أيها السيدُ
هل حاولت أن تسترجعَ
الأيامُ؟
أكانَ جَدُّكَ الَّذِي قَدْ حَطَّ،
في ديارنا،
وأغرقَ البلادَ في الظلامِ؟
أما شعرتَ لحظةً
بعقدة الذُّنبِ؟
أما تذكرتَ للحظة
حكايةَ للتأكلاتِ والأيتامِ؟
أما رأيتَ طفلةً، كما الصبيةِ
التي حاكمتَ، لا دارٌ، ولا أهلٌ
ولا هويةً، ولا أحلامَ؟

(٧)

ماذا تقولُ . . أيها السيدُ
للصبيةِ التي قد واجهتكِ

تلعنُ الارهابَ والإجرامُ؟
صبيةً نقيّةً، كمثلِ ضوءِ الفجرِ
مثلما الندى، ومثلما الغمامُ
بريئةٌ أدنتها،

وأنتَ تدري أنها
أصفى من الصفاءِ في شموخها
أنقى من الإلهامِ ..

(٨)

ماذا تقولُ، يائثرى لفارسٍ
ينهضُ مثلَ السيفِ
في وجهِ الأذى، والاتهامِ؟
أما قرأت في عينيه
دفقةَ الحبِّ، ونبضةَ الحنانِ،
روعةَ الوثامِ؟
أما تُحب مثلما أحبُّ،
أن يعمَّ الخيرُ في دياره،
وينشرَ السَّلامَ؟

أَمَاتَ كُلُّ شَيْءٍ فِيكَ
مِثْلَمَا قَدْ مَاتَ عِنْدَ مَطْلَعِ
الْقَرْنِ الضَّمِيرُ فِي بِلَادِكَ وَنَامَ؟

(٩)

يَاسِيدِي الْقَاضِي . .
أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَعِيدَ
ذَلِكَ الْمَاضِيَ الْبَغِيضَ ،
تُوقِظُ الْأَلَامَ
أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَجُورَ فِي حُكْمِكَ
تَحْرِقُ الزَّيْتُونَ
تَقْتُلُ الْحَمَامَ

(١٠)

يَاسِيدِي الْقَاضِي :
صَرَخْتُ شَاعِرًا
صَرَخْتُ إِنْسَانًا
صَرَخْتُ لَاجئًا مُشَرَّدًا
صَرَخْتُ وَاحِدًا مِنَ الْأَنَامِ

أعدتني في لحظة
من بعد ما لجأتُ للصمتِ
وآثرتُ السُّكوتَ
في زمانِ الانفصامِ
لأنَّ بَشَ الأوراقِ
من مرقدها
وأُسرِعَ الأقلامِ
عسى لعلَّ صرختي إليك
توقظُ الكامنَ فيكَ
تبعثُ المبادئَ العظامَ
فتذكُرُ الشعبَ الذي ظلتموه
مُنْذُ أن دخلتمو دياره
حكمتمو عليه بالإعدام.

(١١)

يا سيدي القاضي . .
رسالتى إليك
عَبْرَ الرِّيحِ ، عَبْرَ المَوْجِ .
عَبْرَ عالمِ الأوهامِ
تطيرُ مِنْ يَدٍ إِلَى يَدٍ

تَحُطُّ مِثْلَمَا حَمَامَةٌ، وَادِيَةٌ،
وَتَحْمِلُ السَّلَامَ
رِسَالَتِي مَفْتُوحَةٌ يَا سَيِّدِي
مَفْتُوحَةٌ الْجَرْحُ تَظَلُّ
هَكَذَا بِلَا التَّثَامُ
رِسَالَتِي تَصْرُخُ بِالسَّمَاءِ
بِالْجِبَالِ، بِالتَّلَالِ، بِالْأَكَامِ
تَبْحَثُ عَنْ لَحْظَةِ صَدَقٍ،
لَحْظَةِ عَدَلٍ، لَحْظَةِ ابْتِسَامِ
تَبْحَثُ عَنْ خِتَامِ
وَهِيَ تَظَلُّ دَوْمًا خِتَامِ
حَتَّى يَكُونَ الْعَدْلُ،
سَيِّدَ الْأَحْكَامِ
فَالْعَدْلُ وَحْدَهُ، لَا غَيْرُهُ
يُحَقِّقُ الْحَقَّ، وَيُنْشِرُ السَّلَامَ



القاهرة : ٢٨ / ١٢ / ١٩٩٦

دعوة إلى الكتابة .. !!

[. . . لعل ألام ما نعبر به عن إعجابنا بسمر سامي العلمي، وإكبارنا لمشاعرها الوطنية، والإنسانية هو أن نكتب لها وهي في زلزالها البريطانية الباردة، لنبلغها كم هي غالية علينا وكم نحن فخورون بها. . .]
د . أنيس صايغ السفير ١٩٩٦/١٢/٢٠

(١)

يا إخوتي . . أدعوكم أن تكتبوا
لعزيزة، جوراً، وظلماً تُغلبُ
في السَّجنِ أختكم، تعاني قهرها
وبليلها القاسي الطويل تُعذبُ
سمرُ العزيزة، من لها إلا الألى
من أجلهم، هذا العطاء الطيبُ
كُونُوا لها بِحَنَانِكُمْ، وحنينكم
وَبِحُبِّكُمْ وبكلِّ ما تشرقُ

(٢)

سَمَرُ العزيزة، أثرتُ في بَذْلِها
وطناً، يهددُ بالضَّياعِ ويُنهَبُ
ضَرَبَتْ لَنَا مَثَلاً، وَكَانَتْ قُدُوةً
في البذلِ، لا تَخْشَى ولا تَتَّهَيْبُ

مَا هَمَّهَا تَرْفُ الْحَيَاةُ وَلَهْوُهَا
 أَوْ أَىُّ مَا يُغْرِى الْبَنَاتِ وَيَجْذِبُ
 نَهَلَتْ مِنَ الْعِلْمِ الْكَثِيرِ وَأَبْدَعَتْ
 فِيهِ، وَظَلَّتْ تَسْتَزِيدُ وَتَطْلُبُ
 جَعَلَتْ فَلَسْطِينَ الْحَبِيبَةَ هَمَّهَا
 وَالْغَايَةَ الْقُصَاوَى الَّتِي تَتَرَقَّبُ
 حَلِمَتْ بِهَا وَطَنًا، كَرِيمًا أَمِنًا
 لَا ظَالِمٌ فِيهِ، وَلَا مُتَعَصِّبٌ
 مَا فِيهِ مُخْتَلٌ يَعْكُرُ صَفْوَهُ
 وَيُزَوِّرُ التَّارِيخَ فِيهِ وَيَكْذِبُ
 يَغْتَالُهُ شِبْرًا فَشِبْرًا ظَالِمًا
 وَيُظَلُّ يَسْـُـرُّقُ مِنْ ثَرَاهُ وَيَنْهَبُ

(٣)

قَالَتْ: لِأَجْلِكَ يَا بِلَادِي هِمَّتِي
 وَلِأَجْلِ مَنْ قَدْ شُرِدُوا وَتَغَرَّبُوا
 حَمَلْتُ أُمَانِيَهَا الْكِبَارَ تَجَشَّعْتُ
 لِلصَّعْبِ تَهْدَرُ فِي الْجُمُوعِ وَتَخْطُبُ
 «جَان دَارِك» ثَانِيَةً تَعُودُ وَصُوتُهَا
 يعلو كـ زلزالٍ يَوجُّ وَيَصْـُـخِبُ

عادت كما «الخنساء» في إقدامها
لله ليس لغيره تتقربُ

(٤)

سمر الصبية، والطريق أمامها
داج يغلفه الظلام المرعبُ
دفعت مشاعلها، وشقت دربها
والحق، والوطن الحبيب المأربُ
«يافا»، و«حيفا»، والديار جميعها
في مقلتيها صورة لا تغربُ
«والقدس» تسكنها، ويسكن شوقها
المشبوب في وجدانها يتلهبُ
وماذن الأقصى، وأجراس على
قُبب الكنائس تستجير وتندبُ

(٥)

قولوا لقاضيهـا: ظلمت وأعلنوا
أن العدالة تستذل وتُخجَبُ
قولوا له: إن المسيح مكبلُ
في القدس ثانية يساق ويُصلبُ

قولوا: أتؤمن بالمسيح فإن تكُنْ
 حَقًّا قَفِينِمَ تَجُورُ فِيمَا تُذْنِبُ؟
 أَمِنَ الْعَدَالَةَ، أَنْ تُدِينَ بَرِيئَةً
 ظَلَمًا... وَيَقْسُو حُكْمَكَ الْمُتَصَلِّبُ؟

(٦)

سَمَرُ الْعَزِيزَةِ، فِي سَوَادِ عُيُونِنَا
 وَقُلُوبِنَا تَبْقَى وَلَا تَتَغَيَّبُ
 فِي غَزَاةِ الْبَيْضَاءِ، يُشْرِقُ إِسْمُهَا
 وَلَهَا بِهَا فِيهَا الْمَكَانُ الْأَرْحَبُ
 هِيَ ابْنَةُ الْوَطَنِ الْعَزِيزِ وَنَبْتُهَا
 تَزْهَوُ بِهَا أَجْيَالُنَا وَتُرَحَّبُ
 هِيَ فِي فَلَسْطِينَ، وَفِي تَارِيخِهَا
 سِفْرُ بَيَّاتِ الْبُطُولَةِ يُكْتَتَبُ

(٧)

يَدْمَى فُؤَادِي، كُلَّمَا اذْكُرْتُهَا
 وَتَضِجُ أَخِيَلَتِي، أَثُورُ، وَأَغْضَبُ
 لَا خَيْلٌ مُعْتَصِمٌ، وَلَا أَجْنَادُهُ
 فِي السَّاحِ ضَلَّ الْمُنْجِدُونَ، وَغَيَّبُوا

أختاه عفوًا، يا أعز بناتنا
 ما حيلتى، وأنا الشريد المتعَبُ
 أنا شاعرٌ يا أخت، سيفى كلمتى
 فى الحق أجببه لا أخاف وأرهَبُ
 هى قدرتى هذى ومالى غيرُها
 قلمٌ أحمدُ من السنانِ وأغلبُ
 فإذا أقصُرُ عنك عَفْوَكَ إننى
 أختى، وحَقِّكَ شاعرٌ ومُجَرَّبُ
 لكنَّه زمنٌ ردىءٌ كَسالُحُ
 غدارٌ يُنذِرُ بالخرابِ وينعَبُ
 فتَجَمِّلِ بالصَّبْرِ، آتِ فجرُنا
 ما أسودَّ ليلٌ أو تطاولَ غيبُها



القاهرة ١٩٩٧

الأرنب .. وأم إسماعيل

[مريم جمعة «أم إسماعيل» تعرفت إلى «عادل
ترمس» أحد سجناء حزب الله أثناء زيارتها لزوجها
جمعة المحكوم عليه بالسجن مدى الحياة]

(١)

أحكى لكلم ..

عَنْ «أم إسماعيل»

حكاية لامرأة عادية

مِنْ شَعْبِنَا الْأَصِيلِ

(٢)

يَحْكُونُ عَنْهَا

فِي لِيَالِي «القدس»

فِي «نابلس»

فِي «غزة» فِي «عكاء»

فِي «الخليل»

يَحْكُونُ عَنْ مَوْقِفِهَا النَّبِيلِ

وَحُبِّهَا لِلْأَرْنَبِ الْجَمِيلِ

(٢)

«عادلُ» هذا الأسمرُ

السُّكَّرُ

مِنْ وَطَنِ

مِنْ أَجْمَلِ الْأَوْطَانِ

ثَارَ عَلَى مُحْتَلِّ أَرْضِهِ

وَقَاوَمَ الْعُدْوَانَ

(٤)

لَأُمِّ إِسْمَاعِيلَ

كُلَّ أَسْبُوعَيْنِ رَحِلَتَانِ

إِحْدَاهُمَا لِلسَّجْنِ

فِي «الرَّمْلَةِ»

وَالْأُخْرَى لِلْأَرْنبِ

الَّذِي تُحِبُّهُ

فِي سِجْنِ «عَسَقْلَانِ»

(٥)

«مَرْيَمُ»

مِثْلَ كُلِّ أُمّهَاتِنَا

لَا تَعْرِفُ الرِّقَاةَ

وَلَمْ تَذُقْ كَغَيْرِهَا
مِنَ الْمُنْعَمَاتِ
لذَّةَ الْحَيَاةِ

(٦)

«مَرْيَمُ»
لَمْ تُفَكِّرْ مَرَّةً
فِي بَيْتِهَا الْمَنسُوفِ
فِي أَوْلَادِهَا السَّيِّئَةِ
فِي الْبَيْتَيْنِ
فَهَؤُلَاءِ هُمُ أَبْنَاؤُهَا
قَدْ سَكَنُوا فِي قَلْبِهَا
الْحَنُونِ فِي الْعَيْنَيْنِ

(٧)

هَلْ صَدَفَةٌ بِأَنَّهَا «مَرْيَمُ»؟
هَذِهِ السَّيِّدَةُ الشَّمَاءُ
وَأَنَّ إِسْمَهَا الَّذِي
تَحْمِلُهُ مِنْ أَطْهَرِ الْأَسْمَاءِ
وَأَنَّهَا عَلَى خُطَى
أَسْمَاءَ، وَالْخَنَسَاءِ

مندورةً للوطنِ الذي
تُحبُّ للفداءِ

(٨)

أحبُّكمُ جميعكمُ
أعيشُ صبراً أمهاتكمُ
أسكنُ في سُقوفِ زنااتكمُ
تدورُ رُوحى حولكمُ
في صُخُوكُم، وفي مَنامكمُ

(٩)

أحييتمو أنتم «فلسطين»
كما أحييُّها
افتديتمو «لبنان»
مثلما افتديتُها
فكُل كلمة نطقتمو
بها وعيُّها

حملتُها يَرِنُ في أذنى
أينما أكونُ صوتُها

(١٠)

يُسعدني صُمودكمُ

هَذَا الَّذِي قَدْ أَعْجَزَ الظَّلَامُ

سِيرَتَكُمْ أَحْمَلُهَا مَعِيَ

فِي الصَّدْرِ كَالْوَسَامِ

أَحْكِي وَلَا أَمَلُ

فَالْحَدِيثُ عَنْكُمْ

يَطُولُ يَغْذِبُ الْكَلَامُ

(١١)

تَقُولُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ

الْأَشْرَفُ الْأَحْبَبُ لِي

أَبْنَائِي الشُّهَدَاءُ

وَالْأَشْرَفُ الْأَحْبَبُ لِي

أَبْنَائِي السُّجَنَاءُ

مَنْ آثَرُوا الْجِهَادَ، وَالْفِدَاءَ

عَلَى قُصُورِ الْبَدَخِ، وَالْثَّرَاءِ

فَهَؤُلَاءِ

لَا يُنَافِقُونَ أَوْ يُسَاوِمُونَ

أَوْ يَلْبَسُونَ جُبَةَ الرِّيَاءِ

لَأَنَّهُمْ أَنْقَى مِنَ النَّقَاءِ

(١٢)

فى كُلِّ رَحْلَةٍ
 لِأُمِّ إِسْمَاعِيلَ
 تَنْهَضُ السُّفُوحُ، وَالْجِبَالُ
 وَقَوْفُهَا أَسْرَابٌ مِنْ عَتَادِ
 تَشْدُو لَهَا، وَتُطْلِقُ الْمَوَالَ
 الْمَجْدُ لِلرِّجَالِ
 الْمَجْدُ لِلْأَبْطَالِ
 فِى لَيْلِهِمْ فِى سِجْنِهِمْ
 فِى قَسْوَةِ الْأَغْلَالِ
 يُخَبِّثُونَ فِى صَدُورِهِمْ
 تَفْجَرُ اللَّظَى، وَتَوْرَةُ الزَّلْزَالِ



القاهرة ١٩٩٧

رسالة إلى المبعدين

[كما أعراف الصنوبر وأكمام الياسمين، حملتهم
رياح السموم، ودفعت بهم إلى البعيد عن
الوطن .. ولكنهم هتفوا .. عائدون]

(١)

ماذا أقول لكم؟ وأعتذر
خجلان، ما عندي سوى قلمي
الأن جندياً بمدقعه
يرميهم غدرًا ويرعبهم
والإحتلال تطاولت وقست
في وجهه أنتم، وغايتكم
كل الشرائع في وثائقها
وأنا المسافر، هدني السقر
ومشاعري، بالهم، تستعر
متربص، لصغاركم حذر
وسلاحهم في وجهه حجر
ليلائه، واشتدت الغير
أن يحى عنكم وينذر
أن ينتهي هذا وينحسر

(٢)

أوتعدون لأن غاصبكم
أوتعدون لأن غايتكم
أوتعدون لأن إختوتكم
في التلفزات تجيء صوركم
الثلج يهمل فوقكم وعلى
وتكبرون، يجيء صوتكم
في وجهه تتدافع الزمر
الحق والإيمان والظفر
شدوا باغلال الأذى أسروا؟
والثلج ليس يكف والمطر
خيماتكم يتكدس الكدر
بالصبر والإيمان ينفجر

(٣)

هَذِي الْوُجُوهُ نَكَادُ نَعْرِفُهَا	أَيَّامَ، كَبَّرَ عَالِيَا عُمَرُ
وَكَاثِمًا مِنْ كَبَّرُوا بَعَثُوا	فِي وَجْهِ مَنْ بِحَقْوَقِهِمْ كَفَرُوا
وَكَاثِمًا الشُّهَدَاءُ، قَدْ نَهَضُوا	مَاذَا أَعْدَدُ، إِنَّهُمْ كُثُرُ
وَكَاثِمًا عَادَتُ مُجْلَجَلَةً	أَفْوَاجُهُمْ بِالْحَقِّ تَأْتِرُ
هَذِي الْوُجُوهُ تَجِيءُ ثَانِيَةً	فَتُتَوَرَّ الدُّنْيَا وَتَنْبَهَرُ
لِلَّهِ فَوْقَ الثَّلَجِ سَجَدَتْهُمْ	تَحْتَ السَّمَاءِ تَهْزُ مِنْ نَكْرُوا
مَتَمَرِّسُونَ عَلَى الصُّمُودِ فَمَا	فِي صَفْهِمْ خَوْفٌ وَلَا خَوَرُ

(٤)

تِلْكَ الْمَنَادِيلُ الَّتِي ارْتَفَعَتْ	يَوْمَ الْوُدَاعِ، مَشَاعِلُ حُمُرُ
مِنْ خَلْفِكُمْ أَطْفَالُ مَا فَتَّوْا	لِلْإِنْفَاضَةِ عَسْكَرُ مُجَرُّ
فِي التَّلَفَّزَاتِ تَجِيءُ صُورَتُهُمْ	لِتَقُولَ لِلْمَوْتِ، أَلَا انْتَشَرُوا
إِنَّا حَمَلْنَا فَوْقَ طَاقَتِنَا	وَصَمْتُمُو وَتَكَلَّمَ الْحَجَرُ
فِي التَّلَفَّزَاتِ نَسَاؤُكُمْ صَرَخَتْ	«اللَّهُ أَكْبَرُ» أَيْنَ مَنْ نَصَرُوا
بَلْ أَيْنَ مَعْتَصِمٌ، وَنَخْوَتُهُ	لَا قَيْسَ فِي السَّاحَاتِ لَا مُضَرُّ

(٥)

مَا عَادَ فِي الْمِيدَانِ مِنْ أَحَدٍ	خَلَّتِ الدِّيَارُ، وَغَيَّبَ الْقَمَرُ
أَيْنَ الرِّجَالُ، وَأَيْنَ نَخْوَتُهُمْ	أَيْنَ الْعَوَاصِمُ إِنَّهَا كُثُرُ؟
أَوْ لَيْسَ أَهْلُونَا وَأَخْوَتُنَا	مَنْ يَقْتُلُونَ، وَتُذْبَحُ الْأَسْرُ؟

أو ليس من حق لمن صمدوا
أن يصرخوا، حتى إذا دُبِحوا
أُبحاكمُ المقتول قاتله
فى أى عَصْر نحنُ أي يد
هذى التى للظلمِ جانحةٌ
تحت الحصارِ ومن له صبروا
أنْ ينفروا حتى وإن قهروا؟
ويُبرأ الجانى، ويتنصر؟
هذى التى تُملى وثقتُدى؟
والعدلُ مغلوبٌ ومُنكسرٌ

(٦)

تلك المناديلُ التى ارتفعت
يومُ الوداعِ وكلُّ جارحة
أو تبعدون.. لأنها صدقتُ
ما رملةٌ الا وتغرِفُكمُ
يترعرعُ الزيتونُ من دمكم
ترنوا لعودتكم على لهفٍ
راياتُ فوق الشمسِ تتشبرُ
فى الأرضِ تصرخُ ذلٌ من أمروا
أهدافكم فى وجهٍ من غدروا؟
فيها ومنها: منكم أثرُ
ويُنورُ الليمونُ يزدهرُ
الدورُ والسَّاحاتُ والشَّجرُ

(٧)

أننأ، كيف تنامُ أعيوننا
مفتوحةٌ فى الليلِ شاخصةٌ
أننأ والخيماتُ عاريةٌ
ما ساعةٌ إلا ويرعبنا
أهلوكم لله درهمـ
وعيونكم قد مسَّها الضَّرُّ
مذهولةٌ تشجى وتغتصرُ
فى الرِّيحِ لا دفءٌ ولا سُتُرُ
هذا الذئبُ تأتى به الصُّورُ
ماذا وكيف عليكم صبروا

(٨)

أطفالكم، ونساؤكم حملوا
عبءَ الأمانةِ خلصنا نفروا

قَالُوا، عَلَى اسْمِ اللَّهِ خَطَوْنَا
مَا هَالَهُمْ أَنْ الدُّنْيَا تَكْرَتْ
مَا هَالَهُمْ أَنْ الْعُرُوبَةُ تُكْسَتْ
هُمْ فِي الْحَصَارِ عَلَى عَهْدِهِمْ
ظَلُّوا عَلَى الْحَقِّ الَّذِي حَمَلُوا
تَتَّسِلَاحُ الْأَهْدَافِ وَالْفِكَرُ
أَمَالَهُمْ، وَتَنْكَرُ الْبَشَرُ
رَايَاتُهَا وَأَصْنَابُهَا الْخَدَرُ
مَا هَدَّهُمْ جُوعٌ وَلَا غَيْرُ
وَتَجَرَعُوا الْآلَامَ وَاصْطَبَرُوا

(٩)

الدَّعْمُ أَيْنَ وَإِنْهَا قِمَمُ
أَيْنَ الْخَطَابَاتِ الَّتِي هَدَرَتْ
أَيْنَ الْقِسَرَاتِ الَّتِي سَطَرَتْ
ضَاعَتْ كَأَنَّ الرِّيحَ تَنْثُرُهَا
قَالُوا انْتِفَاضَتُمْ مَبَارِكَةٌ
وَتَرَكْتُمُو الْجُوعَ يَنْهَشَكُمْ
تَتَرَى، وَمُؤْتَمَرٌ، وَمُؤْتَمَرُ
أَيْنَ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي ذَكَرُوا
لَمْ يَبْقَ مِنْهَا بَعْضُ مَا سَطَرُوا
بَدَا فَلَا يَبْقَى لَهَا أَثَرُ
وَأَعَزُّ مَا جَادَتْ بِهِ الْعُصُرُ
مَجْنُونٌ، لَا يُبْقَى وَلَا يَذَرُ

(١٠)

يَأْتِي الْحَصَارُ تَلَا حَقًّا وَعَلَى
حَتَّى الشُّعُوبِ، الْقَمْعُ أَخْرَسَهَا
مَا عِنْدَهَا حَتَّى وَلَا قَلَمُ
أَمَّا الصَّحَافَةُ فَهِيَ عَاجِزَةٌ
أَبْيَاتُكُمْ، يَتَكَاثَرُ النَّفَرُ
وَأَحَالُهَا، بَكَاءُ تَنْحَادِرُ
يَرُوى حِكَايَاكُمْ وَلَا خَبَرُ
مَغْلُولَةٌ، بِكَمَاءٍ تَحْتَضِرُ

(١١)

مَاذَا أَقُولُ لَكُمْ وَبِىْ لَهْفُ
لِلْقَائِكُمْ، وَالْقَلْبُ يَنْفَطِرُ

فِي الْإِنْتِظَارِ، تَظِلُّ أَرْضُكُمْ
وَلَسَوْفَ تَبْقَى «عَائِدُونَ» وَإِنْ
غَنُوا بِهَا، وَاللَّهُ نَاصِرُكُمْ
لَا تَرْجِعُوا إِلَّا لِمَوْطَنِكُمْ

مَهْمَا نَأْيْتُمْ إِنَّهَا الْقَدَرُ
طُمِسَتْ كَهَذَرِ الرَّعْدِ تَنْفَجِرُ
وَتَدْرَعُونَ بِالْحَقِّ وَأَتَزْرُوا
فَدُرُوبُهُ الْخَضِرَاءُ تَنْتَظِرُ



القاهرة ١٩٩٣

صرخة إلى السماء

[تهادى وزراء الخارجية العرب لاجتماع
طارىء من أجل المبعدين]

(١)

الْمُنْبَعَثُونَ، تَحَارُّقُ وَتَطْلَعُ
نَحْوَ الْأَلَى، شَادُوا الرَّحَالَ وَجُمِعُوا
هَمٌّ فِي انْتِظَارٍ، لِلْقَرَارَاتِ الَّتِي
مَنْ أَجَلَ عَمَلِهِمْ تُسَنُّ وَتُشْرَعُ
عَيْنِي عَلَى الْوُزَرَاءِ طَالَ نَقْاشُهُمْ
وَاللَّيْلُ طَالَ بِهِمْ، وَطَالَ الْجَمْعُ
حَتَّى، وَإِنْ، وَكَيْفَ، فِي قَامُوسِهِمْ
كَلِمَاتٌ فِي أَخْبَرٍ وَرَدِ تَوْضِيعُ
لَتَجِيءَ، أَقْبُوا لَا يَكْرُرُ ذِكْرُهَا
يُجْلَى بِهَا وَجْهُ الْبَيِّنَاتِ وَيُلْمَعُ
لَجَأُوا إِلَى شَرْعِيَّةٍ دُولِيَّةٍ
سُنَّتْ قَبْلُ ضَرْبُ مَنْ تَشَاءُ وَيُقَمَّعُ
وَيُطَالَبُونَ، وَلَيْسَ مِنْ يَدْرِ بِهِمْ
فِي مَجْلِسِ الْأَمْنِ الْعَسْتِيْدِ وَيُسْمَعُ
هُوَ لِلْعَدُوِّ مَكْرَسٌ وَمَهْمِيًّا
قَبِيحٌ، مَا شَاءَ الْعَدُوِّ وَيُشْرَعُ
مَا مَرَّةَ الْقِي بِثِقَلِ جَهْدِهِ
لِلْحَقِّ يَعْلَى شَأْنُهُ وَيُمنَعُ

كُلُّ الْقَرَارَاتِ الَّتِي فِي دَرَجَتِهِ
 خُيِّبَتْ تَعَطُّلٌ عِنْدَهُ وَتَصَدَّعُ
 مِنْ مَجْلِسِ الْأَمْنِ الْعَتِيدِ تَوَالِيًا
 تَأْتِي الْقَرَارَاتُ الَّتِي لَا تَنْفَعُ
 هِيَ لِهَيْبَةٍ، يَلْهَوْ بِهَا شَيْطَانُهُ
 لِنَظْلِ فِي أَحْوَالِنَا تَقْوَعُ
 يَدُهُ تَطُولُ تَرَابَنَا وَسَمَاءَنَا
 وَعَدُونَا فِي خَيْرِنَا يَتَمَتَّعُ
 يُخَمِّي بِأَسْلِحَةِ الدَّمَارِ جَمِيعَهَا
 وَتُصَدِّدُ عَنْ حَقِّ الدَّفْعِ وَتُمنَعُ
 مَا شَاءَ يُلْجِئُنَا كَمَا أَنَا عِنْدَهُ
 خَيْلٌ تَشْدُ كَمَا يَشَاءُ وَتَخْفَعُ
 هُمْ يُنْكِرُونَ شِعْرَنَا حَتَّى إِذَا
 صَارَ خَتٌّ، فَإِنَّ صُورَ أَخِيهَا لَا يُسْمَعُ
 الطَّائِرَاتُ حَافِئًا وَأَشِدُّ فِي أَرْضِنَا
 قَتَلْنَا كُنَّا أَنَّى تَشَاءُ وَتَقْفُ مَعَ
 وَبِحُورِنَا فِيهَا يَجُوبُ عَدُونَا
 يُحْصِي عَلَيْنَا مَا نَقُولُ وَنَصْنَعُ
 آلَافُ رَادَارَاتِهِ مِنْ قَرُونِنَا
 مِنْ تَحْتِنَا فِي كُلِّ رَكْنٍ تَقْفُ بَعُ
 وَالصُّمْتُ فِي كُلِّ الدِّيَارِ كَمَا أَنَّهُ
 لَيْلٌ طَوِيلٌ فَرَقْنَاهُ يَتَرَبَّعُ

لَا نَامَةٌ، لَا نَسْمَةٌ لَا كَلِمَةٌ
لَا أَى شَىءٍ عِنْدَنَا يُتَى وَقَعُ

(٢)

وَالْجَبَّارُونَ هُنَاكَ فِي أَحْزَانِهِمْ
خُذْلُوا، فَمَّا جَاءَ الْقَرَارُ الْمُنْعِ
حَرْبَانِ، حَرْبٌ لِلْعَدُوِّ شَدِيدَةٌ
وَمِنَ الطَّبِيعَةِ هَجْمَةٌ تَتَدَفَّعُ
الْثَلْجُ وَالْمَطَرُ الْغَزِيرُ، وَلِفْجَةٌ
لِلْبَرْدِ فِي خِيَمَاتِهِمْ تَتَوَزَّعُ
وَالْجُوعُ، وَالظَّمَأُ الْمَرِيعُ، وَقَسْوَةٌ
الْأَلَامِ، وَالْأَرْضُ الْعَمْرَاءُ الْبَلَقَعُ
وَيُقَالُ إِنَّ شُعْرَانَا مَغْنِيَّةٌ
بِهِمْ، لِأَجْلِهِمْ تَهْبُوتُ وَتُسْرَعُ
وَيُظَلُّ حَالَهُمْ، كَمَا هُوَ لَا يَدُ
تَأْسُورُ، وَلَا عَيْنٌ لَهُمْ تَتَطَلَّعُ
مَاعِنْدَهُمْ، إِلَّا انْتِفَاضَةً شَعْبَهُمْ
فِي كُلِّ يَوْمٍ، بِأَسْمِهِمْ تَتَوَجَّعُ

(٢)

يَا قُلُوبَنَا فِي كُلِّ أَرْضٍ إِنِّي
آتَ الْبِكْمُ، لَهُمْ فَتَةٌ أَتَضَرَّعُ
إِنِّي لَأَسْأَلُكُمْ، بِحَقِّ كِتَابِكُمْ
يُتَلَّى، وَأَيَاتِ تَنْبِيهِ رُوتُ سَطَعُ

هل حق اسم رائيل أن تلهو بكم
 وتظل في غلوائها تتممع
 ماذا ترى قلتم لها، وهي التي
 في كل يوم، غزوها يتوسع
 أو ليس لبنان، ترى من أرضكم؟
 فمعلم يتسرك وحده يتلوغ؟
 أو ليست الجبل ولأن بعض دياركم؟
 أو مالكم فيها أذان يرفع؟
 أو ليست القدس الشريف مدينة
 الرحمن، شبيها الشجرود الرقع
 أو ليس، للإسراء في أذهانكم
 ذكر يحرركم، وأمر يذفع
 ماذا أقول لكم، وما في جمعيتي
 عنكم، كشيء، لا يقال ويسمع
 ما عاد عندي، ما أباهي باسمكم
 ضيغت، وأسفاه فيمن ضيعوا
 متناحرون فكل يوم قصص
 عنكم لها يندى الجبين ويصنف
 تتجمعون فيفرح الوطن الذي
 انتم له، واليكم يتطلع
 ونظل في احزاننا، وعذابنا
 ونظل من كأس الأسى نتجرع

(٤)

هو حنا هذا وتلك حنا ودنا
أصفار لا تحصى، وليست تجمع
إننا نهمى عندنا ثروانا
وجيوشنا وحشودنا، والموقع
متفرقون، ولا سبيل لجمعنا
مفتقرون، وكل يوم نصزع
هذا على هذا، ومما من واحد
منا يقول كفى، ولا يتزعزع
هل بعد إسرائيل شيء آخر
في العالم العربي، بعد يبرطع؟
الطائرات تجوب في أجوائنا
أنى تشاء، كما تشاء تلعلع
ترمي الدمار لأنها شرعية
شعرت لنا، وبها نصعد ونمنع
من قال إن سماءنا ليست لنا
في أي شراع لا نرد ونردع
هي شرعية دولية للمعتدي
يرمى به أوطاننا ويروغ
ما ذنبهم من أبعدا أو عذبا
ما ذنب من ذاقوا الحصار وجوعوا

مَا ذَنْبُ مَرَضَاكُمْ، يَظَلُّ دَوَاؤُهُمْ
 عَنْهُمْ، بِعَمِيْدًا لَا يُطَالُ وَيَنْفَعُ؟
 أَهَنَّاكَ انْسَانِيَّةٌ غَيْرَ الَّتِي
 تُحَمِّي، بِزَحْفٍ جَيِّشِهِمْ وَتُدْرِعُ؟
 أَوَلَسْتُمْ بِشَرِّ الْيَسَّافِارِكُمْ
 أَطْفَالًا، مِثْلَ صَفَارِهِمْ تَتَلَوُّعُ؟
 عَادَ الصَّلِيبِيُّونَ، إِنْ حَشَوْدُهُمْ
 مِنْ كُلِّ انْحِاءِ الدُّنْيَا تَتَجَمُّعُ
 هِيَ حَمْلَةٌ أُخْرَى، تَدُقُّ بِعُنْفٍ هَا
 أَبْوَابَنَا لِأَنَّهُمْ أَرَأَوْا تَقَرُّعُ
 نَصْحُوانًا عَلَى هَدِيرِ حُشُودِهَا
 فِي كُلِّ أَرْضٍ خُيِّلْنَا تَتَوَزَّعُ
 تَخْتَارُ أَسْبَابًا، وَتُخْفِي غَيْرَهَا
 وَيَأْيَا سَبَبَ لَهَا تَتَلَزَّعُ
 وَتَظَلُّ نَحْلُمُ أَنْ تُحَقِّقَ وَحْدَةً
 كُتُبِي، وَتَرْكَنُ لِلْخَمُولِ وَنَهْجِ
 وَنَظْفِي أَحْلَامَنَا، وَأَمَامَنَا
 الدُّنْيَا، تُحَقِّقُ مَا تَشَاءُ وَتَصْنَعُ
 يَا إِخْوَتِي مَرَجُ الزَّهْرِ مَنْوَرُ
 بِكُمْ بِنَفْعٍ أَرِيحُكُمْ يَتَضَوُّعُ
 لَوْ يَسْتَطِيعُ لَصَاغٍ مِنْ أَسْمَائِكُمْ
 دَرَرًا تَنُورُ فِي السَّمَاءِ وَتَسْطَعُ

عُمَرَى الَّذِي قَضَيْتُهُ مُتَفَانًا
 أَشَدُّ دَوْبًا مَالِي الْكَبَارِ وَأَبْدَعُ
 تَنْجَابُ عَنْ عَيْنِي مِثْلَ غِشَاوَةٍ
 أَحْلَى الْأَمَانِي الْعِذَابُ وَتُنْزَعُ
 مَاذَا سَيُتْرَكُ لِلْأَلَى مِنْ بَعْدِنَا
 يَأْتُونَ، تَارِيخُ الْيَمِّ مَوْجِعُ
 يَا إِنْخِرَوتِي هَذَا أَنَا أَبْلَغْتُ مِنْ
 عُمَرَى الَّذِي أَبْلَغْتُ لَا أَتَزَعُ زَعُ
 قَاتَلْتُ بِالْقَلَمِ الْجَرَى وَخَفَضْتُهَا
 شَتَّى الْمَعَارِكِ صَامِدًا لَا أَرْجِعُ
 وَالْيَوْمَ ذَا عُمَرَى، وَهَذِي أُمَّتِي
 مَاذَا أَقُولُ لَهَا وَمَاذَا أَسْمَعُ؟
 يَا رَبُّ هَذِي أُمَّتِي ذَا حَالُهَا
 فَالْيَا لِيكَ وَحَدِّكَ شَعْبُنَا يَتَطَلَّعُ



تونس ١٩٩٣

قصائد الانتفاضة

قصيدة للانتفاضة

[في فلسطين ارتفعت شعلة الانتفاضة المباركة
قبسًا من نور يهدى المدلجين إلى
فجر الحرية والنصر...]

(١)

لن يكسروا شوكة الشعب الذى وثبا	ولن يطأطى رأسٌ، طاول الشُّهبا
هذى فلسطين، والتاريخ يعرفها	فكم على أرضها، كم شبٌ وانتصبا
فرملة من ثراها، لا تُعادلها	خزائن الكون، لا مالا، ولا ذهبًا
تعطرت بدم الأحرار تربتها	وُضُمَّتْ بِشذى أذيالهم، حقبًا
أنى تلفت، فالأثار خالدة	تمد أعراقها، جاهًا لنا، حسبا
فى كل منحدر، أو كل مرتفع	تساميًا تنشر الأعلام، والطبًا

(٢)

الانتفاضة، إعصارٌ، وعاصفة	وهبة، أشعلت فى أرضنا اللهبًا
أت، إلى الغاصب المحتل توقظهُ	على هدير، على أبوابه اصطبخبًا
«الله أكبر»، يوم الهول رددها	أبطالها الغر، كانوا باسمها الخطبًا
قد لعلت فهدير الموج أرسلها	تلاحقًا، تعلن الإرزام، والصخبًا
من شاطئ الشوق، حيث العائدون به	فى الانتظار، إلى الفجر الذى اقتربًا

أَطَالَ لَيْلٌ . . ؟ وَكَمْ لَيْلٍ عَلَى وَطَنِي تَطَاوَلَا حَطًّا حَتَّى زَالَ وَاحْتَجَبَا

(٣)

الانْتِفَاضَةُ، زَلْزَالٌ، وَمِلْحَمَةٌ وَثُورَةٌ، تَتَّحِدِي، الْجَيْشَ، وَالْغُرَبَا
أَتَتْ كَمَا الْفَجْرِ، مِنْ أَعْمَاقٍ دَاجِيَةٍ سُودَاءَ، تَبْتَكِرُ التَّصْمِيمَ، وَالْغَضْبَا
تَحَرَّكَتْ فِي الْحَنَايَا، حِينَ عَاصَفُهَا يَصُبُّ جَامُ اللَّظَى، مُسْتَنْسِدًا لَجَبَا
يَمْتَدُّ مِنْ غَزَةِ السَّمَاءِ لَاهِبُهَا لِلْقُدْسِ مُنْدَفِعًا فِيهَا، وَمُنْسِرِبَا
وَتَعْتَلِي فِي جِبَالِ النَّارِ شُعَلْتُهَا تَعِيدُ فِيهَا زَمَانًا رَائِعًا خَصِيبَا
لَنَا ٠٠ لَنَا الْأَرْضُ، آمَالٌ مُقَدَّسَةٌ عَلَى ثَرَاهَا نَشَرْنَا الْجُرْحَ مُنْسَكِبَا

(٤)

مِنْ شَاطِئِ الْبَحْرِ، حَتَّى النِّهْرِ مَوْطِنَا وَسَائِلُوا التَّيْنِ، وَالزَّيْتُونِ، وَالْعِنَبَا
وَسَائِلُوا الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَكُتِبَتْهُ وَمَهْدَ عَيْسَى، وَمَنْ صَلَّى وَمَنْ خَطَبَا
مِنْ غَيْرُنَا، فِي مَدَى التَّارِيخِ وَقَفَّتْهُ تَرَدُّعُهُ الْأَذَى، وَالْحَقْدَ، وَالنُّوبَا
وَمَنْ سَوَانَا تَحَدَّى الزَّاحِفِينَ إِلَى أَرْضِ السَّلَامِ، وَمِنْذَا غَيْرُنَا، صَلَبَا
مِنْ عَهْدٍ كَنْعَانٍ، وَالْفَارُوقِ بَاقِيَةٌ آثَارُنَا خَالِدَاتٌ، تَمَلُّ الْكُتُبَا

(٥)

قُلْنَا فِلَسْطِينَ . . فَاهْتَزَّتْ جَوَانِحُنَا مِنَ الْحَنِينِ . . وَشَبَّ الشُّوقُ وَالتَّهَبَا
أَبَاؤُنَا، فِي ثَرَى أَقْدَاسِهَا جُجِلُوا وَلَكِنْ نَخُونُ تَرَابًا، بِالْدَّمِ اخْتَضَبَا
إِنَّا حَمَلْنَا، عَلَى أَكْتَافِنَا زَمْنَا عِبَاءَ الْقَضِيَةِ، لَمْ تُنْكَرْ لَهَا طَلَبَا

ظلت فلسطين، وشمًا في مفارقنا
 لم نختبيء، خلف رمزٍ لا يُفسرنا
 ولا جعلنا فلسطيناً مغلفةً
 منوراً اسمها في كل ما سطرنا
 نادت بنا، . . . وصغيراً كان فارسها
 يرمى الحجارة، شلالاً يواجههم
 يضيء في حلقة الظلماء شمعته
 وكلماً لآلات في الأفق بارقة
 طفل نعم، واقروا في سفر ثورته
 أعى عتالة الإرهاب أعجزهم
 نقشاً على القلب، في العينين قد صلبا
 ولا خبأنا اسمها، في كل ما كتبنا
 بين السطور، تُعاني الجهد والتعبنا
 أقلامنا تنشر الأقمار والشهبنا
 تقدم الصف، يمضي، شامخاً طرباً
 لا يعرف الخوف، لا يستمرى الهرباً
 تحدياً يفحم الأستار والحجبنا
 تطاولاً مدكف فيه لها وثبنا
 من مثله شد نحو الموت وانجذبنا
 وعارى الصدر لاقى حشدهم، ضربنا

(٦)

هذا الصغير الذى اغتليت طفولته
 ولا استراح إلى صدر يهذهه
 لف الجناح، على جرح يعذبه
 فأمّة هو منها، ليس يُنكرها
 يواصل البذل، مشدوداً لغايته
 يدرى بأن الذى فى كفه حجر
 ماذا فى عمره لهواً، ولا لعباً
 كما الصغار، ولا غنى، ولا طرباً
 وآثر الصمت محزوناً، وما عتباً
 لأنه باسمها، قد فجر الغضبنا
 ما كل فى ساحة للبذل، أو تعباً
 يواجه الغادر الغازى، وما جلباً

(٧)

اختارَ من رائعِ الغَاياتِ ما صَعُبَا	هذا الصَّغِيرُ، عَظِيمٌ في انتِفاضَتِهِ
أَن تَقْهَرَ الحَقُّ، أو أَن تَقْبُرَ الأَرِبا	هِيَهَاتَ تَسْطِيعُ، أَجْنَادُ مُدَرَّعَةٌ
حَتَّى تُحَقِّقَ مِنْهَا النِّصْرَ والغَلْبَا	فَالانتِفاضةُ، تَبْقَى في تَوْهَجِهَا
حَتَّى تَرَدَّ الَّذِي قَدْ ضَاعَ واغْتَصَبَا	حَتَّى تَعِيدَ، أَمَانِينَا الَّتِي سُلِبَتْ
وَاللَّهُ يَنْصِرُ مَنْ لَبَّى، وَمَنْ طَلَبَا	مُبَشِّرٌ بِصَبَاحِ النِّصْرِ فَارِسُهَا



تونس : ١٩٨٨

الشبل الصغير

[قيلت في الاحتفال الكبير، الذي أقامه
التجمع الدستوري الديمقراطي بتونس
ومنظمة التحرير الفلسطينية احتفالاً
بذكرى يوم الأرض]

(١)

صَغِيرِي .. أَيُّهَا الشَّبْلُ الصَّغِيرُ
وَيَا مَنْ فَعَلَهُ .. فِعْلُ كَبِيرُ
وَلِدْتُ إِذَ الْيَسَّالِ حَالِكَاتُ
فَلَا لِحْمٍ يَلُوحُ، وَلَا بَشِيرُ
وَلَا صَدْرٌ تَلُودٌ إِلَى حَمَاهُ
وَلَا بَيْتٌ حَاوَاكَ وَلَا سَرِيرُ
رَأَيْتَ بِأَمِّ عَيْنِكَ أَى ظَلَمٍ
يُحْطِوْطُكَ لَا يُزْخَرْحُ أَوْ يُغْوَرُ
أَبُوكَ مُطَارِدٌ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ
وَأُمُّكَ فِي مَآسِيهَا تَحِيرُ
وَفِي سِجْنٍ شَقِيقُكَ لَا تَرَاهُ
وَرَاءَ اللَّيْلِ مُغْتَقِلُ أَسِيرُ
وَتَنْمُو وَالْأَسَى طُولاً وَعَرْضاً
وَفِي الْأَحْزَانِ تُغْرِقُكَ الْبُحُورُ

يَطُولُ الإِحْتِلَالُ وَلَا مُغْنِيَتْ
مِنَ الْوَطَنِ الْكَبِيرِ وَلَا مُجِيرُ

(٢)

وَأَقْدَامُ الْفِدَاءِ مُكَبَّلَاتُ
يُخَاصِرُهَا، الْمُرَاوِعُ وَالْأَجِيرُ
إِذَا عَبَّهَتْ إِلَيْكَ فَالْفُ وَاشِ
يُنَدِّدُ، أَوْ يُقْنِدُ أَوْ يَنْوَرُ
يَقُولُ الْأَبْرِيَاءُ هُمُ إِذَا مَا
دَعَاكَ الثَّارُ أَوْ ضَجَّ النَّفِيرُ
صَنَارُهُمْ، وَنَسِوَتْهُمْ عَلَيْهِمْ
يَطُولُ النَّدْبُ وَالْحُزْنُ الْمُثِيرُ
وَتَخْرُجُ مِنْ مَكَامِنِهَا الْأَقَاعِي
تَفُحُّ بِسُمِّهَا حِقْدًا تَفُورُ

(٣)

نُسَائِلُهُمْ، مَنْ إِجْتَرَأَ أَوْ عَلَيْنَا
وَرَاخَ نَقِيقُ حَقْدِهِمْ وَيَمُورُ
الْإِنْسَانُ عِنْدَهُمْ وَحُقُوقُ
وَيَغْمِي عَنْ مَآسِينَا الضَّمَمِيرُ

أَيَاتِي مِنْ أَقْصَايِ الْأَرْضِ قَوْمٌ
تُقَامُ عَنْهُمْ لَهْمٌ وَدُورٌ
وَيُطْرَدُ أَهْلُنَا ظُلْمًا وَقَهْرًا
وَلِلتَّشْرِيدِ يُسَلِّمُنَا النَّذِيرُ
وَتِلْكَ الْأَرْضُ كَمْ شَرِّتْ دِمَانًا
وَتَشْهَدُ فِي تَوَالِيهَا الْعُصُورُ
بِأَنَّا لَمْ نَكُنْ يَوْمَئِذٍ وَأَنَا
لَهُمْ نَحْنُ الْعَطَايَا وَالنُّذُورُ

(٤)

تُحَاصِرُ الْإِنْتِفَاضَةُ وَهِيَ مِنْهُمْ
لَهُمْ، وَيُحَاصِرُ الشَّعْبُ الْجَسُورُ
وَفِي أَخْبَارِهِمْ تَأْتِي أَقْتِضَابًا
وَفِي الْأَقْصَا يَنْقُلُهَا الْأَثِيرُ
يُحَدِّثُ عَنْ بُطُولَتِهَا وَيُرْوِي
حَكَايَاهَا، سَفِيرٌ أَوْ وَزِيرُ
وَيَرْجُمُهَا وَيُخَذِّلُهَا أَنْاسُ
أَذْلَاءُ، وَيَشْنُوها حَقِيرُ
يَشْكِكُ فِي تَوَاصُلِهَا وَيَهْدِي
وَيَأْخُذُهَا التَّطَاوُلُ وَالْغُرُورُ

فَيَسْأَلُ كَيْفَ هَلْ حَجَرٌ يُلَاقِي
 الْجَحَافِلَ، وَهِيَ عَارِمَةٌ تُغِيرُ
 وَيَعْجَبُ كَيْفَ تَنْدَفِعُ الصَّبَابَا
 وَكَيْفَ تَهْبُ لِلشَّارِ الْخُدُورُ
 وَكَيْفَ يَوَاجِهُ الْأَطْفَالُ جِيْشًا
 تَدْرَعُ، كَيْفَ يَلْتَهَبُ الشُّعُورُ
 حَدِيثُ الْإِنْتِفَاضَةِ فَوْقَ هَذَا
 تَطُولُ بِهِ الصَّحَائِفُ وَالسُّطُورُ
 وَلَا يَدْرِيهِ إِلَّا مَنْ وَعَاهُ
 وَمَنْ عَانَاهُ يَعْرِفُ مَا يَدُورُ
 هِنَا فِي تُونِسِ الْخَضِرَاءِ مِنَا
 لَنَا شَعْبٌ بِهِمَّتُهُ كَبِيرُ
 نَزَلْنَاهَا، وَقَدْ ضَاقَتْ دِيَارُ
 بِشُورَتِنَا، وَقَدْ ضَاقَتْ تُغُورُ
 فَكَانُوا الْأَهْلَ وَالْأَنْصَارَ حَبَا
 تَلَقُّنَا، الْجَوَانِحُ وَالصَّدُورُ
 سَنَحْفَظُ تُونِسَ الْخَضِرَاءَ عَهْدًا
 عَلَيْنَا، إِنَّهُ الْعَهْدُ الْأَثِيرُ
 سَنَذْكُرُهُ غَدَاةَ النِّصْرِ يَوْمًا
 يُخَلِّدُ ذِكْرَهُ الشَّعْبُ الْغَيُورُ

فنحنُ، وأنتِ أدرى بالضحايا
 إذا ما الشعبُ حاصرهُ المغيرُ
 ويومُ الشَّطِّ لن يُنسى وإنّا
 معاً فى دربِ ثورتنا نسيرُ
 يُعيّدُ لسيدى يوسفَ ذكرياتِ
 خوالدها، ليسَ تنساها الدهورُ
 هو الشعبُ المُساندُ والمُضاحي
 تجذّرَ فيه، والتحمَ المصيرُ
 كذا تبقى العُروبةُ لأهراءُ
 ترددهُ المحافلُ والقُصُورُ
 هى الدّمُ فى العسروقِ وفى الحنايا
 وفى الميادينِ زلزالُ جهنمِ
 لنا لا غيرُنا، الوطنُ المرجى،
 جبالُ أورمالٍ، أو صخورُ
 ومن رفح إلى صففندانا
 يظلُّ مَجْلَجِلاً عالِ يَمُورُ
 وتبقى الإنتفاضةُ فى لظاها
 إلى أن يشرقَ الفجرُ المنيرُ



تونس ١٩٨٨

١٢٧

وقصائد لِفَرَّة

غزة.. المحاصرة

[ليس جديداً حصار المدينة العظيمة غزة،
فكم حاصرها الغزاه عبر التاريخ. II
وكم ارتدوا عنها خالدين]

(١)

تُحَاصَرُ، لَيْسَ يُرْهِبُهَا الْحِصَارُ	ولا الْقَصْفُ الْمَرْوَعُ وَالْدَّمَارُ
فَغَزَّةُ، قَلْعَةٌ، صَمَدَتْ طَوِيلًا	وَتَصْمِدُ لَا يُقْزَعُهَا الْعِثَارُ
سَنِينٌ، وَهِيَ عَنَوَانُ التَّحْدِي	لَهَا فِي وَجْهِ غَازِيهَا اقْتِدَارُ
لَهَا وَقَفَاتُهَا، زَمَنًا طَوِيلًا	تَصْدُ الْمُعْتَدِينَ إِذَا أَغَارُوا
تَوَاجِهَهُمْ وَمَا فِيهَا جِبَالُ	لِتَحْمِيهَا وَمَا فِيهَا جِدَارُ
وَلَيْسَ تَخَافُ وَالضَّرِبَاتُ تَأْتِي	عَلَى أَبْيَاتِهَا، وَتَشُبُّ نَارُ
لَهَا السَّيْفُ الْمُجَلَّى لَا تُبَالِي	بِمَا حَشَدَ الْأَلْدَاءُ الْكَثَارُ
عَلَى أَبْوَابِهَا كُسِرَتْ يَهُودَا	وَعَنْ أَعْيَابِهَا دُحِرَ التَّنَارُ
لَهَا فِي نَجْدَةِ الْأَوْطَانِ سَبْقُ	جَرِيءٍ لَا يُشَقُّ لَهَا غُيْبَارُ
فَأَهْلُوهَا عَلَى دَرْبِ التَّحْدِي	غَضَابًا، فَوْقَهُ انْتَفَضُوا وَسَارُوا
لَهُمْ فِي الْجَوْعِ صَبْرٌ وَاحْتِمَالُ	وَلَيْسَ لَهُمْ عَلَى الذَّلِّ اصْطِبَارُ

(٢)

مغلَّقةٌ، حدودهمو عليهمُ	فلا عونٌ يجيُّ، ولا اعتذارُ
ولا إن طُورِدَ المظلومُ منهمُ	يلاقى بالحنانِ، ولا يُجَارُ
فكمُ أم بها، فقدتُ بنيها	فما لطمَتُ، ولا شقَّ الإزارُ
وكمُ شيخُ، عليه هوتُ عصيُ	فما ذلَّ الشموخُ، ولا الوقارُ
وكمُ طفلُ، بألفٍ من رجالِ	يُلطِّخُ رأسهمُ خزيُّ، وعَارُ
يُلاقى الدَّارِعاتِ، ومن يديه	على الأعداءِ، تنهمرُ الحجارُ
أطفلُ ذاك؟ أم بطلُ جرى؟	يحارُّ به الوجودُ، ولا يحارُ
فمن رَفَحَ شَواطِئُ النارِ يعلو	«لبيتِ حنونُ»، ينتشرُ الأوارُ
فكلُّ مُعسِّكٍ، جيشُ كميُ	على أقداسِ أمتهِ يُغارُ
أشاعَ اللاجئونَ به دُويًا	لَهُ في مَسَمِّعِ الدُّثَيَّا دُوارُ
هو الشعبُ الفدائيُّ المُرجى	لَهُ في البَذلِ سَبَقُ واقتدارُ
وغزاةُ أينما دارتُ عُيونُ	فثمةُ ألفِ معركةٍ تُدارُ

(٣)

وفى «مرجِ الزهورِ» هناك منها	رجالُ خلَّصَ أسدُ خيَارُ
على عهدِ الوفاءِ، وإن تناءتُ	بهمُ أرضٌ وإن بَعُدَتْ ديارُ
هُمُ يَدرونَ أن الحقَّ باقٍ	وما لهمو عَنِ الحقِّ انحسارُ
أرادوا الصَّعبَ، وانتجعوا طريقًا	مُلغَمَةً، وما ضَعُفُوا وخاروا

هم الأقوى، وإنْ خُذِلَتْ نفوسُ
فَعَزَّتْهُمْ، بِهِمْ، تسمو شموخاً
فما تُلهيهمو، عَمَّا أرادوا
كانهمو الأوائلُ، يومَ جاءوا
همو للحسنينِ بهم نزوعُ
دنياتُ، ولطَّخَها الشَّنَارُ
وَقَوْقَ جَبِينِهَا يَغْلُو القَخَارُ
مناصبُ، أو مكاسبُ، أو عقارُ
بدعوتهم وفي الدنيا أناروا
وطُلابُ الشَّهادَةِ منذ ثاروا

(٤)

فيا وطن العروبة، أين منهم؟
وأين تُراهم الأنصارُ، منهم
فلا أجنادهم، تبدو احتشاداً
وأسيافُ العروبةِ، وهى كُثُرُ
تَكَسَّحتُ المروءَةُ فهى خجلى
فَلا مِنْ صَخْوَةٍ منهم تُلبى
لهم «قممُ» يحار المرءُ فيها
تنادي بالسياسةِ وهى خزيُ
فما تجدي، إذا اختلَّت وضلَّتْ
وما نفعُ العقولِ إذا تساوى
تطاردنا بُغَاثُ الطَّيْرِ آتَى
وتلحونا بأقلام تَدَنَّتْ

صِلاتُكَ، والتَفَاتُكَ، والحوَارُ
وَفِيمَ تَخَلَّفُوا عَنْهُمْ وَغَارُوا
لَنَجِدَهُمْ، ولا يهتز جَارُ
مُثَلِّمَةٌ وليس لها شِفَارُ
يُعْطِلُهَا التَّخَلُّفُ والفرارُ
ولا مِنْ نخوةٍ فيهم تُثارُ
وما فيها لما يجرى اعتبارُ
أمامَ المعتدي الباغي، وعارُ
موازينُ وأعجزَها القَرَارُ
لَدَيْهَا مَنْ يُضَيِّرُ، ومن يُضَارُ
نزلنا لا نُحَبُّ، ولا نُجَارُ
لَهَا فى كُلِّ مَوْبَأةٍ شعَارُ

تَهْيِجُ كَمَا دَبَابِيرَ عَلَيْنَا
ضَمَائِرُهَا مُعْطَلَةٌ، وَفِيهَا
وَغَزَةٌ فِي مَعَارِكِهَا افْتِدَاءٌ
فَلَيْسَ تَنَامُ، وَالْمُحْتَلُّ ظُلَمًا
تُضْحِي فِي سَبِيلِ النَّصْرِ مَهْمًا
وَتُؤْمِنُ أَنَّهُ مَّا طَالَ لَيْلٌ
وَتُلْسَعُنَا، وَيُؤْذِنَا السُّعَارُ
تَرَبَّعَتْ الْمَذَلَّةُ وَالصَّغَارُ
صَبَاحَ، مَسَاءَ، يعلو الانفجارُ
لَهُ فِيهَا وَجُودٌ وَانْتِشَارُ
يَضِيقُ بِهَا وَيَشْتَدُّ الْإِسَارُ
بِهَا، إِلَّا وَأَعْقَبَهُ نَهَارُ



القاهرة : ١٩٩٢

غزة لا يفرقها البحر..

[تمنى رابين لو أن البحر يغرق غزة]

(١)

عَرُوسُ الْبَحْرِ، يَارَابِينُ لَا يُغْرِقُهَا الْبَحْرُ
وَلَا يُغْرِقُهَا الْحِقْدُ الَّذِي تَحْمِلُ وَالشَّرُّ
فَكَمْ أَيْدٍ كَسَرْتَ بِهَا، وَمَا رَكَّعَهَا الْكَسْرُ
وَكَمْ أُمٌّ بِهَا رَمَلَتْ، مَا أَرْهَبَهَا الْغَدْرُ
وَكَمْ طِفْلٌ بِهَا يَتَمَتَّ، شَبَّ لَوَاؤُهُ الثَّارُ

(٢)

حِجَارَتُهَا الَّتِي ثَارَتْ بِوَجْهِكَ عَسْكَرٌ مُجْرُ
صِغَارٌ مِنْ بَرَاغِمِهَا تَفْحُ كَأَنَّهَا الْجَمْرُ
صِغَارٌ مِثْلُ مَوْجِ الْبَحْرِ، مَا دُحِرُوا وَلَا انْجَرُّوا
تَطَاطَى هَامَةُ الدُّنْيَا، لَهُمْ وَيُطَاطَى الْكِبَرُ
أَعَادُونَا إِلَى التَّارِيخِ، مِنْهُ الْمَجْدُ وَالْفَخْرُ

(٣)

وغزوة هذه القلعة ما زلزلها القهرُ
ولا أرببها هذا الحصارُ الشائنُ المرُ
ولا ذلتُ، ولا هانتُ ولا استخذى بها نسرُ
وليس يباعُ في سُوقِ النخاسةِ عندها شبرُ
عروس البحرِ، يحضنها الندى والضوءُ والعطرُ

(٤)

لنا غزوة يا هذا، لنا ربواتها الخضرُ
لنا الشيطانُ والسّاحاتُ، والأشجارُ والزهرُ
لنا زيتونها المسروقُ، والجُمُيزُ والتّمُرُ
لنا ليمونها وكرُومها وعطاؤها البكرُ
لنا الشمسُ التي تعلو نواحيها لنا البذرُ
فكيف البحرُ يُغرقها ومنها الحبُّ والخيرُ
وفيهما يُرفعُ التكبيرُ عالٍ، ينهضُ الذكرُ
ودقاتُ النواقيسِ العذابِ كأنها الشعرُ
مدينتنا مقدسةُ التّرابِ رداؤها الطهرُ

(٥)

لغزّة تخشعُ الأمواجُ، يَغْنُو المدُّ والجزرُ
ويدري البحرُ أن لها، وليسَ لغيرها الأمرُ
تقولُ له على الأعداءِ كُرٍّ، إذا هُمُ وَكَرُّوا
فكم من حولها الأعداءُ رُدُّوا ذلّةً فرُّوا
وكم غيَّبَهم موجٌ، وكم واراهاهم قُبُرُ

(٦)

فغزّة هاشمٍ هذى، لها من ذكره ذِكْرُ
عروبُتها على التاريخِ، يحفظُ اسمها الدهرُ
فمن كنعانَ حتى مُتَهِى الدُّنيا لها الصَّدْرُ
وغزّةُ في كتابِ المجدِ، خلَّدَ اسمُها عَمُرُ
حُمَاةُ الدَّارِ أهْلُوها، بها ولأجلها قَرُّوا
عماليقُ فوراسُها، أباءُ عَسْكَرٍ كَثُرُ
فما خلَعُوا ولا رَكَعُوا ولا أَعْيَاهُمُ الصَّبْرُ
ميامينُ لهم في الحربِ، إِمَّا لَوَحَتْ قَدْرُ
وليسَ لَنَا كَصِ عنها إذا ما دُوْهَمَتْ عُذْرُ

(٧)

تقولُ البحرُ يُغرِقُها، وتحلمُ لو بها يذروا
ومنها يهدرُ الزلزالُ فيها يُجمعُ الحشرُ
لأن مدينةَ الأبطال لا يَهْنِي بِهَا الغَيرُ
فَمَنْ «شمشون» حتى أنتَ، حتى ينتهى العُمُرُ
تظلُّ عصيةً غزّة، يبقى شعبُها الحرُّ
يؤرق أعينَ الأعداء لفحُ صمودها المُرُّ

(٨)

هنا غزّة، يعلو صوتُها، يتفجرُ النَّبْرُ
بأن لنا وليسَ لكم، بها يتنفسُ الفَجْرُ
وإن لنا وليسَ لكم، بها يتحققُ النَّصْرُ
يقولُ صغارُها البُسلَاء يعلو ينهضُ الجهرُ
عروسُ البحرِ يارابينُ، لا يُغرِقُها البَحْرُ



القاهرة : ١٩٩٢



عودة الغائب

[.. في أحضان غزوة - بعد
غياب سبعة وعشرين عاما]

(١)

أتيتُ غَزَّةَ، طيراً شاردًا تعبًا
قَضَى سِنِينَ طَرِيدَ الدَّارِ مُغْتَرِبًا
مُجَرَّحَ الْقَلْبِ، مَكْلُومَ الْفُؤَادِ قَمًا
لَدَيْهِ عَانِي كَثِيرًا، جُرْعَ السَّغْبَا
وَقَفْتُ فِي بَابِهَا، لَهْفَانٍ مُنْتَظِرًا
إِذْ الدُّخُولَ، مَشُوقَ الرُّوحِ مُرْتَقِبًا
أَبْعَدَ كُلِّ سِنِينَ الْعُمُرِ، يَوْقِفُنِي
فِي بَابِهَا، غَاصِبٌ، مَازَالَ مُغْتَصِبًا؟
يَقُولُ لِي، وَهُوَ بِالْعَيْنِينَ يَأْخُذُنِي
مَنْ حَيْثُمَا جِئْتُ، عُدُّ .. يَا أَنْتَ مُنْقَلِبًا !!
أَعُودُ كَيْفَ .؟ فَيُلْقِي نَظْرَةً جَرَحَتْ
قَلْبِي، أَثَارَتْ بِهِ الْأَحْزَانَ وَالْغَضَبَا
هَذَا الْغَرِيبُ، كَمَا الشَّيْطَانُ يَوْقِفُنِي
فِي بَابِ غَزَّةَ .. يَا وَيْلَاهُ، يَا عَجَبًا

(٢)

حَاوَرْتُ . . دَاوَرْتُ إِنِّي هَهْنَا أَبَدًا
وَلَكِنْ أَعْوَدُ، وَكَلِمَاتِي لِيَرْبَا
وَبَعْدَ سَاعَاتٍ مَرَّتْ مِثْلَمَا عُمُرُ
مِنَ السِّنِّينَ، وَقَلْبِي نَازِفٌ لَهَا بَا
عَبَرْتُ مِنْ رَفِجٍ، شَوْقًا، إِلَى رَفِجٍ
أَغْدُ خَطْوِي، مُشْتَاقًا، وَمُقْتَرِبًا

(٣)

أَتَيْتُ غَزَّةً، أَمْشِي فِي شَوَارِعِهَا
مَضَّيْعَ الْوَجْهِ، لَا إِسْمًا، وَلَا لِقَبًا
أَدُورُ فِيهَا كَمَجْنُونٍ يُدْلِكُهُ
حُبٌّ، أَضَاعَ بِهِ مِنْ عُمُرِهِ حَقْبًا
أَسْأَلُ الرِّيحَ، وَالْأَمْطَارَ عَنْ وَلَدٍ
كَمْ فِي شَوَارِعِهَا، كَمْ دَارَ كُمْ لِعِبَا
كَمْ بَاكِرَ الطَّيْرِ فِي صُبْحٍ يُغَازِلُهُ
وَكَمْ عَلَى الشَّطِّ، كَمْ غَنَّى، وَكَمْ وَتَبَا

(٤)

أَهْذِهِ غَزَّتِي، مَنْ كُنْتُ أَغْرِفُهَا
لَا تَقْبَلُ الظُّلَمَ، لَا تَسْتَمِرِّي الْغُرْبَا

ما بالها طاطأت، للريح وانكسرت
 وسلّمت أمرها نهبا لمن نهبا
 أدور شرقاً، وغرباً في أزقتها
 أسائل الدور، والجدران، والخشب
 عمّن حملت لهم عمري محبتهم
 وما تخلف قلبي عنهم ونبأ
 كانوا أمام عيوني، لا يفارقني
 شوق تجذّر في الأعماق وانسكب
 وكنت أزهو بهم، أعلو بذكرهم
 في إيما موقع، أسمو بهم نسباً
 وأعبر الأهل المسكون مندفعاً
 نحو الحواكير، مشتاقاً، ومنجذباً
 تدور عيّناتي، في حزن وفي وجع
 تحاور التين، والزيتون، والعنب
 أغزة هذه، من كنت أعرفها
 شماء لا ترتضى، ذلاً ولا نصباً
 عمراً قضيت، أغنى في مفاتها
 في حبها، أبدع الأشعار والأدبا
 كم ثقّت، ما تاق مثلي «الشافعي» لها
 وحّن من مكة، شوقاً لها، وصباً
 فودّ لو كحلت بالثرب مقلثه
 منها، وناجى بها الإسلام العرباً

مَا بِالْهَامِ مِثْلُ حَسَنَاءٍ مُعَفَّرَةٍ
شَاخَتْ، وَكُلُّ الذِّى أَهْوَاهُ قَدْ خَرِبَا

(٥)

هَذِي الْمَدِينَةُ، مَا نَامَتْ وَلَا رَكَنَتْ
لِظَالِمٍ . . . وَاسْأَلُوا التَّارِيخَ وَالْكِتَابَا
رَدَّتْ زُحُوفَ الصَّلَيبِينَ وَأَنْتَصَرَتْ
عَلَيْهِمْ وَدَحَرَتْ جَيْشَاهُمْ لِحِجَابَا
وَيَوْمَ دَقَّ «هَوْلَاكُو» بَابَهَا وَقَفَتْ
فِي وَجْهِهِ، تُغْلِنُ الْعِصْيَانَ وَالْغَضَبَا
رَدَّتْهُ مِنْهُزِمًا، رَاخَتْ ثُلَا حِقَّةُ
«لَعِينِ جَالُوت» حَتَّى أَنْهَارَ وَأَنْسَحَبَا

(٦)

وَقَفْتُ بِالْمَسْجِدِ الْمَعْمُورِ أَسْأَلُهُ
عَنِ الْأَحْبَةِ، مَنْ صَلَّى، وَمَنْ خَطَبَا
وَأَسْتَرَدُّ زَمَانًا، كُنْتُ أَحْمَلُهُ
بَيْنَ الْجَوَانِحِ، مَا وَلَّى، وَلَا ذَهَبَا
أَجَىءُ «كُلَيْتِي» عَلَى أَشِيمٍ بِهَا
مَنْ نَفَحَ أَيَامَهَا، بَعْضَ الذِّى غَرِبَا
أَعِيدُ سُوقَ عُكَاظٍ بَعْضَ ذَاكَرَتِي
أَيَّامَ كُنَّا بِهَا الشُّعْرَاءَ وَالْأَدَبَا

وَأَسْتَعِيدُ لِيَا لِيَهَا، مَجَالِسَهَا
وَأُبْعَثُ الرَّائِعَ الْمَاضِي الَّذِي حُجِبَا

(٧)

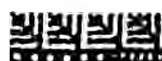
هَذِي الْمَدِينَةُ فِي الْوَجْدَانِ سَاكِنَةٌ
هِيَ هَاتِ، مَا هَمَّهَا مَنْ ضَلَّ أَوْ كَذَبَا
فِيهَا الْبَطُولَةُ، حَطَّتْ عِنْدَ مَوْلَدِهَا
تَطَاوَلَتْ أَفْرَعًا، وَاخْضَوْضَرَّتْ حَسَبَا
مَدِينَةُ دَوْنِ التَّارِيخِ قِصَّتُهَا
بِمَا تَسَامَتْ بِهِ عِزَّ آلِهَا وَإِبَا
مَدِينَةُ فِي كِتَابِ الْمَجْدِ مَنْزِلُهَا
مَخْلَدٌ بِمِدَادِ النُّورِ قَدْ كُتِبَا

(٨)

أَجَىءُ بَعْدَ اغْتِرَابِي، كَيْفَ تُنْكِرُنِي
أَحَاوَلُ الْجُهْدَ، أَسْتَقْرِ بِهَا السَّبَبَا
مَاذَا أَغْيَرَهَا، بَغْدِي وَبَدَلُهَا
مَنْ حَطَّ فِي أَرْضِهَا ظُلْمًا وَمَنْ غَصَبَا
الْإِحْتِلَالِ الَّذِي قَاسَتْهُ صَابِرَةٌ
وَعَفَّرَتْ أَنْفَهُ، فَانْزَاحَ وَاحْتَجَبَا
يَوْمَ انْتِفَاضَتِهَا فِي وَجْهِهِ وَتَبَّتْ
مَا مِثْلُهَا عَرَفَ التَّارِيخُ، أَوْ كَتَبَا

اللهُ أَكْبَرُ زِلْزَالٌ، وَعَاصِفَةٌ
 أَقْوَى مِنَ الْغَادِرِ الْبَاغِي، وَمَا جَلَبَا
 فَلَا السَّلَاحُ الذِّي وَافَاهُ أُعْجَزَهَا
 وَلَا الْجِيُوشُ وَلَا مَنْ جَارَ وَاسْتَلَبَا
 وَلَا سِيَاسَةً تُكْسِرُ الْعِظَامَ وَلَا
 مَا دَبَّرَ الْبَغِي فِي لَيْلٍ وَمَا نَصَبَا

مَدِينَتِي لَيْسَ لِي فِي الْكَوْنِ مِنْ بَلَدٍ
 سِوَاكَ، مَا زِلْتُ لِي أُمًّا هُنَا وَأَبَا
 أَجِيءُ طَالَ حَنِينِي طَالَ بِي لَهْفِي
 أَضَعْتُ عُمْرِي، مُشْتَقًا وَمُغْتَرِبًا
 ظَلَلْتُ مِنْ بَلَدٍ أُمَضِي إِلَى بَلَدٍ
 أَجُرُّعُ الظُّلْمَ، وَالْأَحْزَانَ وَالسَّغْبَا
 أَجِيءُ بَعْدَ إِغْتِرَابِي، وَالْوَقَاءَ مَعِي
 حَمَلْتُهُ، وَحَمَلْتُ الْإِسْمَ وَالنَّسَبَا
 هَاتِي يَدِيكَ خُذِيْنِي إِنَّنِي تَعَبُ
 أَتَيْتُ أَنْفَضُ عَنِّي الْحُزْنَ وَالْتَّمَعَبَا



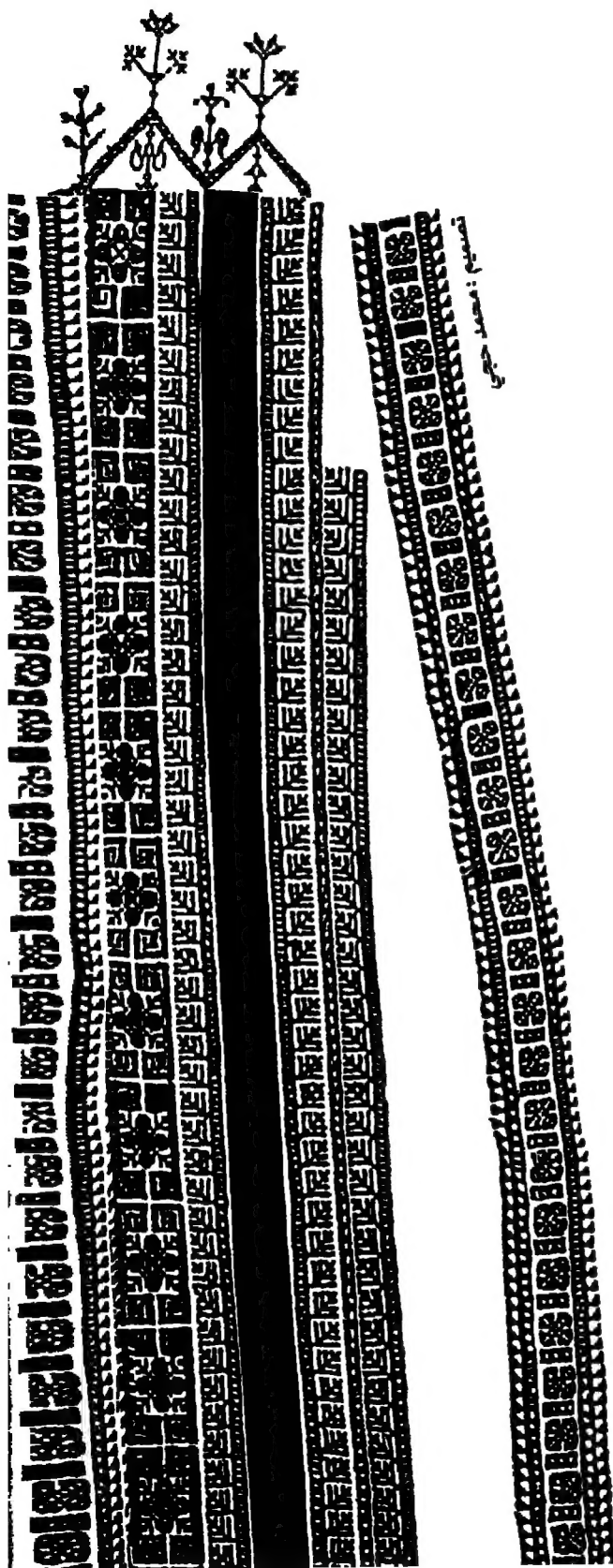
فهرست

صباح الخير أيها السجناء	٩
عين على السجناء	١٣
وردة على جبين القدس	١٧
نكون أو لا نكون	٤٩
منذر الدهشان	٥٥
اعتذار وانكسار	٦٣
الحبس الإداري	٦٩
يا أنت يا سمر	٧٥
رسالة مفتوحة	٨١
دعوة للكتابة	٩١
الأرنب وأم إسماعيل	٩٧
رسالة إلى المبعدين	١٠٣
صرخة إلى السماء	١٠٩
قصائد للانتفاضة	١١٧
قصيدة الانتفاضة	١١٩
الشبل الصغير	١٢٣
قصائد لغزة	١٢٩
غزة المحاصرة	١٣١
غزة لا يفرقها البحر	١٣٥
عودة الغائب	١٣٩

رقم الإيداع ٩٨/١٠٣٠٦
الترقيم الدولي 3 - 0481 - 09 - 977

مطابع الشروق

القاهرة : ٨ شارع سيوفه المصري - ت ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٩٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣٩٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)



دارالشروق